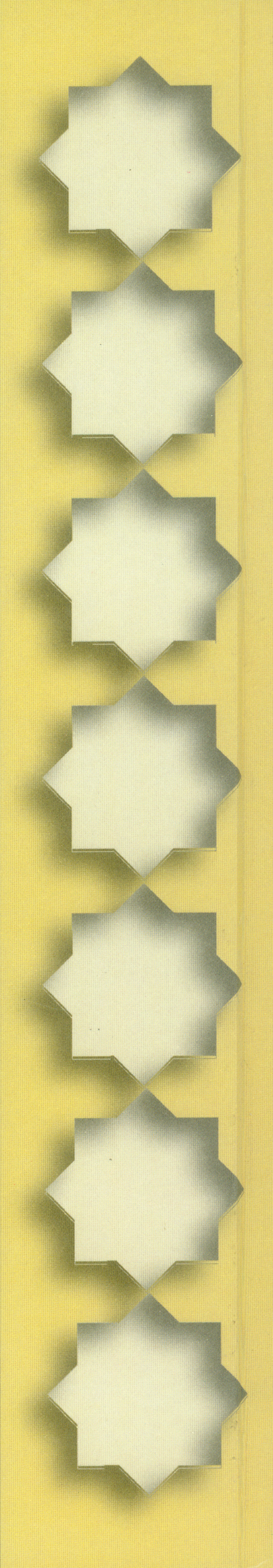


مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ديوان
الشاعر الأمير
عبدالقادر الجزائري





جمع وتحقيق
الدكتور العربي دحو
راجعة
الدكتور محمد رضوان الداية

ديـــــوان

الشـــاعر الأميـــر

عبدالقادر الجزائري

جمع وتحقيق

الدكتــور العربــي دحــو

راجعه

الدكتور محمد رضوان الداية

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث
في الأمانة العامة للمؤسسة إيهاب النجدي

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي: محمد العلي

الطباعة والتنفيذ: أحمد متولي - أحمد جاسم

تلفون: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

2000

تصـــديـــــر

الأمير عبدالقادر الجزائري صوت فذ من أصوات العروبة والجهاد في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، فقد كانت سيرة حياته بخطوطها القريبة والبعيدة ترجمة أمينة لتآلف الوجدان العربي، مشرقه ومغربه، وشوقه للخلاص من سطوة الجهل والخرافة وعبادة الذات القبلية.

والمتأمل في دفتر هذه الحياة يعجب، ويتساءل: كيف حفلت حياة واحدة بما يمكن أن تحفل به حيوات عدة؟ وكيف اتسعت لكل تلك الحوادث المتباينة الشؤون والشجون؟ وكيف نظم في سلك واحد بين الإمارة والفقة والجهاد والشعر والسيف والصوفية؟ والفارس العاشق نفسه أمسك بلحظة من تلك اللحظات المدهشة فقال:

ومن عــــجب تــــهـــاب الأُسْـــد بـــطـــشي

ويمــــــنــــعــــني غـــــزالٌ عن مــــرادي

ولا يعنينا – هنا – أن هذا البيت موصول بالبيت القديم:

نــحن قــومٌ تــذيـبـنــا الأعـــينُ الـــنجل

عــــلى أنــــنــــا نــــذيبُ الحــــديـــدا

بقدر ما تعنينا دلالته على تلك الشخصية الثرية، التي جمعت في إهابها ألواناً من المكرمات، ومنحت عصرها كثيراً من التجليات.

والصور التي يمكن للإنسان أن يقف أمامها في حياة هذا الأمير المناضل أجلّ من أن تحصيها كلمات عجلى، لكن الوجه الشعري – وهو من أصدق وجوهه – يظل في حاجة إلى التطلع إليه وقراءته والتعاطف معه، ويأتي هذا التحقيق الجديد لديوانه ملبياً لهذه الحاجة، كما يأتي استلهاماً لقيم البطولة والعروبة والتسامح، وتواصلاً للوعي المعرفي بأدوات التحقيق العلمي.

ويضم هذا الديوان – لأول مرة – كل شعر الأمير ، بما في ذلك أشعاره في «المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد» و«المذكرات» رغم ما بدا فيها من ملامح الضعف الفني ، فلم يسقط المحقق منها شيئاً ، التماساً للموضوعية ، وتصديقاً للهدف الأساسي من إعادة طبعه وهو «الجمع والتحقيق» ، لذا نجد – بوضوح – في هذه الطبعة النص على مواضع الاختلاف في الطبعات السابقة ، وشكل الأبيات والالتفات إلى المعاني المقتبسة من القرآن الكريم والموروث الأدبي القديم ، مما أكسب الهوامش لوناً من الجدية في التناول .

لا يتبقى لي – وأنا أقدم هذا الديوان حفياً به ومغتبطاً له – إلا أن أذكر شاكراً جهود إخوة كرام أسهموا جميعاً في إخراج هذا الديوان/ الرمز ، وأخص بالذكر المحقق الدكتور العربي دحو ، والمراجع الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية .

إنها التحية للأمير عبدالقادر الجزائري ، تجددها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، إذ تصدر ديوانه في دورتها السابعة ، دورة «أبوفراس الحمداني» تلك الدورة المميزة اسماً وزماناً ومكاناً .

وباللّه التوفيق ، ،

عبدالعزيز سعود البابطين
أغسـطـس ٢٠٠٠

****

مقـــدمـــة

إن الاهتمام بتراثنا الثقافي العربي بعامة، والشعري منه بخاصة يعد من الضروريات ـ ولاشك ـ فلقد قيل قديماً: «الشعر ديوان العرب» ويغدو ذاك الاهتمام من أوجب الواجبات حين يكون ممثلاً لشخصيات بارزة في وطننا العربي، وعالمنا الإسلامي، كان لها ما كان من الحضور المتميز في الوجدان العربي والإسلامي لسبب من الأسباب أو لعدة أسباب، والأمير عبدالقادر الجزائري الذي أقدم ديوانه اليوم للقارئ العربي بخاصة، والقارئ أياً كان بعامة، لهو من الأسماء التي تشغل مساحة محترمة في الذاكرة العربية، والإسلامية، والإنسانية، ما يعني أن العودة إلى أعماله، ومنها ديوانه الشعري تظل متواصلة، لأنها حتى الآن لم تأخذ العناية جمعاً وتحقيقاً ودراسةً ونشراً، وصاحبها شغل الآفاق بحياته، المملوءة جهاداً وإبداعاً، وسلوكه الإنساني الذي غدا مضرب مثل عند العدو قبل الصديق.

ومن هنا ـ إذ أعود مجدداً إلى ديوانه مخرجاً إياه بالصورة التي هو عليها – فإن الفضل كل الفضل يعود إلى الأستاذ الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين الذي شرفني بإعادة تحقيقه بمناسبة الاحتفاء بالشاعر الأمير على هامش الدورة السابعة للمؤسسة العامرة الميمونة المباركة المخصصة هذه السنة لـ «أبي فراس الحمداني»، إذ لولا فضله، وكرمه وتشجيعه الدائم وأسرة المؤسسة لما التفت إلى الديوان، ولا إلى صاحبه على الرغم من إنجاز بحث متواضع عنه، وعن شعره في مرحلة الليسانس بجامعة قسنطينة.

ولعلي أكون ـ وأنا أقدم الديوان مجدداً كما أسلفت ـ قد استفدت كثيراً من جهود الذين سبقوني في إخراجه، وهو مالا يخفى على أحد، ولا يجحد بحال من

الأحوال، كما أتمنى أن أكون قد فتحت آفاقاً، أو أفقاً ـ على الأقل ـ أمام من يتناول الديوان لاحقاً ليضيف ما يضيف، ويقوّم، ما يقوّم ويلغي ما يلغي بحسب ما ينتهي إليه جهده واجتهاده من مستجدات، أو آراء في أي مستوى كان.

وإذا كان المألوف أن كل عمل علمي يعتمد فيه على منهج من المناهج، وكان هذا العمل محدداً في التحقيق، فإن السائد ـ حتى الآن ـ في هذا الحقل لا يتجاوز منهجين بارزين هما:

١ ـ اعتماد نسخة وعرض بقية النسخ عليها، والتنويه إلى الخلافات الموجودة بينها.

٢ ـ أو صناعة نسخة بالاعتماد على النسخ المتوفرة في حالة عدم إمكانية تحقيق المنهج السابق لأسباب تحول دون ذلك، وهذه الطريقة، أو هذا المنهج يعتمد في الغالب عندما لا توجد نسخ للأثر العلمي المقصود تحقيقه، مع غض النظر عن المنهج المعتمد في جمع المادة من مصادر مختلفة عندما لا توجد أي نسخة لذلك الأثر، وهو ما لا نحتاجه مع ديوان الأمير عبدالقادر الذي نشر أكثر من مرة، بجهود عدد من المحققين، الأمر الذي جعلنا نختار منهج اعتماد نسخة من نسخ الديوان، والمقارنة بينها وبين بقية النسخ الأخرى، مع التنويه إلى الخلافات الموجودة بينها، وتخريج ما لم يخرج عند مَنْ سبقنا وتوثيق غير الموثق، وشرح غير المشروح، إلى غير ذلك من الملاحظات والتنويهات التي يتابعها القارئ في مظانها في المتن أو في الهامش، مما يعني أننا لم نسرف في التقيد الصارم بمنهج واحد كما سبقت الإشارة إلى ذلك، سعياً إلى الاقتراب من الكمال الذي يظل منشدنا أبداً.

وبهذا المنهج الذي استأنسنا به انتهينا إلى أن تكون مواد الديوان محددة في شكله هذا، والذي احتوت دفتا سفره على المقدمة، وترجمة الشاعر بقلم ابنه الأمير محمد باشا والتعريف بنسخ الديوان المنشورة، ثم شعره الذي عد مكوناً لديوانه عند من

تقدمنا، تلا ذلك ملحقان: الأول وفيه جمعنا شعره الموجود في «المواقف»، والذي أبعد جله عن الديوان، والثاني وقد خصصناه لقصيدتيه الواردتين في مذكراته عن مدينة «طولون»، ورحلته إلى «بو» في أثناء وجوده بفرنسا، ثم أنهيناه بفهارس الأعلام، والأماكن، ومطالع القصائد والقوافي، وقائمة المصادر والمراجع، والفهرس العام.

وأملنا أن نكون قد حققنا بعض أهداف المؤسسة الراعية لإصدار الديوان، فإن كان ذلك فهو الحلم والمنى، وإن لم يكن فإننا قد اجتهدنا، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وعذرنا كل عذرنا في الوقت القصير الذي أنجزنا فيه العمل.

والله من وراء القصد فهو نعم الولي ونعم النصير.

****

ترجمة الناظم رضي الله عنه

بقلم: الأمير محمد ولد الشاعر

هو فرع الشجرة الزكية، وبدر العصابة الحسنية. إنسان عين السادة الأخيار، وعقد جيد القادة الأبرار. صدر الشريعة بل تاجها، بدر الحقيقة بل معراجها، نخبة آل بيت اشتهرت بالشرف أوائلهم وأواخرهم، وأشرقت في أفق سماء السعادة فضائلهم ومفاخرهم. من عجزت عن حصر أوصافه الأقلام، وتباهت بوجوده الليالي والأيام، وتزينت الطروس بغرر مزاياه ومدائحه، وتلت النفوس آيات الحمد والإخلاص في صحائفه. واسطة عقد الشرف المقتنى، وغصن شجرة المجد المجتنى. كعبة القاصدين، حرم الخائفين، ناصر الدين، الأمير عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبدالقادر بن خدة بن أحمد بن محمد بـن عبدالقوي بن علي بن أحمد بن عبدالقوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبدالقوي بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء. بضعة خير الأنام، عليه أفضل وأكمل السلام.

ولد قدس الله سره في رجب سنة ألف ومئتين واثنتين وعشرين ببلدة القيطنة التي اختطها جده بإيالة وهران من أعمال الجزائر ثاني أنجال والده ووالدته السيدة الزهراء بنت السيد عبدالقادر بن دوخه الحسيني تربى في حجر والده وفي مدرسته حفظ القرآن. وأخذ العلم عن أهل العرفان، وفي سنة مئتين وست وثلاثين سافر إلى وهران وحصل، حتى برع في كافة الفنون وكمل، وفي سنة مئتين وإحدى وأربعين سافر منها

براً صحبة والده ذي الكمالات والعلوم الباهرة، قاصدين مكة المكرمة عن طريق القاهرة، وبعد أداء النسك رجعا إلى دمشق الشام، لزيارة الصلحاء والعلماء الأعلام، وأخذ بها عن الولي الصالح الإمام حضرة مولانا الشيخ خالد المجدوي الطريقة النقتبندية (لعلها النقشبندية)، ومنها إلى بغداد وأخذ بها الطريقة العلية القادرية على السيد محمود الكيلاني ثم رجع براً إلى الشام، وآب منها إلى بيت الله الحرام، وبعد أداء المناسك رجع من طريق البر إلى بلدته في السنة الثالثة والأربعين بعد المائتين وفي سنة ست وأربعين قام والده بأمر الجهاد فحارب معه سنتين وفي رجب سنة ثمانية وأربعين بايعه أهل الجزائر أميراً عليهم لاشتهاره بالشجاعة والعلم والبراعة، فباشر الأعمال، وركب الأخطار والأهوال وأقام الإمارة على قدمي الفضل والعدل، وزانها بما يؤيده العقل والنقل، وضرب السكة من فضة ونحاس، وأنشأ المعامل للأسلحة واللباس. وقام بأمر الجهاد ست عشرة سنة، يحارب الدولة الفرنساوية ويحمي دينه ووطنه، وأظهر من الشجاعة والبسالة والفتك في كل مجال ما اشتهر في الآفاق وقد بسطت ترجمته في كتابي المسمى بـ«تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر» وكانت الحرب بينهما سجالاً(*) وكان يباشر القتال بنفسه ويتقدم أصحابه في المواقف فيرجع وقد ألبسته مخرقة من الرمي بالرصاص ولم يصبه سوى جرح بكتفه وآخر بأذنه ومات تحته عدة خيول ثم هاجمته دولة مراكش من جهة أخرى وبعد محاربات عديدة علم أن التسليم أولى فسلم لدولة فرنسا على شروط مقررة وعهود وذلك في محرم سنة ألف ومئتين وأربع وستين وبقي محجوراً(**) عليه عندها. وفي سنة ست وستين حضر إلى محل إقامته بمدينة إمبواز نابليون الثالث إمبراطور فرنسا وبشره بإطلاق سبيله وأهداه سيفاً مرصعاً ورتب له في كل سنة خمسة آلاف ليرة فرنساوية فتوجه إلى باريس ومنها إلى الآستانة العليا فتشرف بمقابلة ساكن الجنان مولانا السلطان الغازي عبدالمجيد خان طاب

(*) كانت في الأصل: سجال، والتصحيح من عندنا.

ثراه فأكرم وفادته وأحسن مثواه ومنحه في بورسة داراً عظيمة ثم رجع سنة السبعين إلى الآستانة وتوجه إلى باريس ثم رجع إلى بورسة وعزم سنة إحدى وسبعين على السكن بدمشق الشام فارتحل إليها، ثم توجه سنة ثلاث وسبعين إلى زيارة بيت المقدس والخليل وقرأ في شهر رمضان البخاري الشريف في دار الحديث والإتقان والإبريز في مدرسة الجقمقية، واعتكف في شهر رمضان سنة خمس وسبعين بالجامع الأموي وقرأ الشفا والصحيحين في مشهد سيدنا الحسين. وفي سنة سبع وسبعين منحته الدولة العلية النيشان المجيدي من الرتبة الأولى وأهدته أيضاً الدول الفخام نياشينها من الطبقة الأولى نظراً لما أبداه من مساعدة للمسيحيين في واقعة تلك السنة، ثم سافر إلى حمص وحماه وزار سيدنا خالد بن الوليد ومن حل في حماه، وفي سنة ثمانين توجه إلى مكة وأقام بها وبالطائف والمدينة المنورة سنة وستة أشهر وأخذ بمكة الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي، وقصد الآستانة سنة اثنتين وثمانين وتشرف بمقابلة ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالعزيز خان طاب ثراه فأكرم نزله وأحسن قراه ومنحه النيشان العثماني من الرتبة الأولى، ثم توجه منها إلى باريس فزاد له الإمبراطور على مرتبه السابق ألفين وخمسمائة ليرة إفرانساوية في كل سنة، ودعي إلى مصر سنة ست وثمانين ليحضر احتفال خليج السويس، وقرأ الفتوحات المكية سنة تسع وثمانين مرتين بعد أن أرسل عالمين لتصحيحها على النسخة الموجودة بخط مؤلفها الشيخ الأكبر في قونيه، وأخذ الطريقة العلية المولوية على حضرة الدرويش صبري شيخ الطريقة المولوية بالديار الدمشقية، وكان محافظاً على السنن عاكفاً على شهود الجماعة كثير الصدقات وكان مرتباً راتباً في كل شهر للعلماء الصلحاء والفقراء منتصبًا لقضاء حوائج العباد، عاملاً بتقوى الله في السر والجهر، متعبداً على مذهب سيدنا مالك، وتغلغل في آخر عمره في علوم القوم وأظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ما يؤذن بسمو مقامه، وكان يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب معتزلاً عن القريب والغريب وله خلوة يتحنّث بها في قصر بقرية أشرفية صحنايا، وكان مشتغلاً عن مرض وفاته بالمراقبة

والمشاهدة حتى إنه لا أنّ ولا تأوّه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه الكريم في منتصف ليلة السبت لتسع عشرة خلت من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة في قصره بقرية دمر من مرض اعتراه بالكلى والمثانة، مدة خمسة وعشرين يومًا وصلى عليه بالجامع الأموي خلق كثير، وكان له مشهد لم يعهد له نظير، واجتمع في جنازته أمم من جميع الملل ودفن ظهر يوم السبت جوار الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي الحاتمي في حجرته وتوفي عن زوجته ابنة عمه وثلاث جوار جركسيات وجارية حبشية وخلف عشرة أولاد ذكور وست بنات. وكان رضي الله عنه معتدل القامة عظيم الهامة، ممتلئ الجسم أبيض اللون مشرباً بحمرة أسود الشعر كثّ اللحية أقنى الأنف أشهل العينين يخضب بالسواد، وله من التأليفات تعليقات على حاشية جده السيد عبدالقادر بن خدة في علم الكلام، وتنبيه الغافل وذكرى العاقل، والمقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد، والمواقف في علم التصوف، وله من الشعر الرائق والنثر الفائق ما يطرب الأسماع ويستهوي الألباب والطباع وكان يحب اللعب بالشطرنج ويحسن الخياطة سيما خياطة الشبكة. وبالجملة كان إماماً جليلاً عالماً عاملاً نبيهاً نبيلاً زاهداً ورعاً مهاباً شجاعاً كريماً حليماً، أوّاباً رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه، آمين.

****

الديـوان ونشره

أ ـ إن أول نسخة نشرت للديوان هي النسخة التي أعدها ابن الشاعر «محمد»، والتي نشرها في دار المعارف بمصر، وعنونها بـ «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» وهي نسخة لا تحمل تاريخ نشرها، كما لا يذكر لنا معدها للنشر مصادره التي أخذ عنها شعر الأمير، إذ نجد في مقدمته التي لا تتجاوز ثلاثة عشر سطراً، بما فيها «الحمدلة» المعتادة في المقدمات التقليدية المعروفة، والتي استغرقت أربعة أسطر نجد قوله: «أما بعد فيقول المفتقر إلى رحمة مولاه الغني، محمد بن الأمير عبدالقادر الحسني: قد سنح بفكري أن أرتب ما عثرت من كلام مَنْ في جوامع محامده ركعت غرر الشمائل، وفي محاريب معاليه سجدت جباه الفضائل، وكرع من بحر محيط الشريعة صافي الشراب، وبرع في نشر خفي الحقيقة لما عن الأغيار غاب، سيدي ومولاي ناصر الدين، الأمير عبد القادر بن محيي الدين، ولم أتعرض لذكر ماله من النظم في الحقيقة واللطائف، حيث أنه قدس سره أثبتها في كتابه المسمى بالمواقف، لا زالت أحاديث فضله تروى وتسند، وآيات بره بين الملأ تتلى وتشهد، ماذر شارق، ولاح بارق»[1]

ثم يبدأ في الصفحة نفسها بأول قصيدة من الديوان وهي المعنونة بـ «أبونا رسول الله» إلي آخر نص في النسخة هذه وهي المعنونة بـ «وراء الصورة» والتي نظن أن طابع النسخة نسيها واستدركها في آخرها، لأننا لا نجد في ترقيم صفحات النسخة الصفحة الثانية.

وقد تميزت نسخة «محمد بن الأمير» التي رمزنا لها في التحقيق بحرف «أ» بأنها الوحيدة التي تحمل عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر»، ويبدو العنوان

مقترحاً من لدن «محمد» نفسه، لأنه لو وضعه الشاعر لذُكر، ولأمكن لنا الحصول على نسخة كاملة يكون قد أعدها بنفسه، وهو ما يستشف ضِمنياً من رأي «محمد» الذي لم يحدث أن نسب إلى الشاعر هذا العمل، بل ذهب إلى القول بأن ما قدمه في الديوان هو كل ما وقعت عليه يداه من غير الوارد في كتاب المواقف من الأشعار، وتلك سنتحدث عنها لاحقاً.

وكيفما كان فإن عنوان: «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» يبدو أنه لم يستحسن من أي محقق آخر، لذلك لم يثبت في النسخ التي أخرجوها، فهذا «حقي» يكتفي بعنوان «ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري»، وذاك «صيام» يعتمد عنوان «حقي» نفسه، وهو ما اعتمدناه من جهتنا مضيفين إليه كلمة الشاعر لأن عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» نراه يصلح للدراسة أكثر مما يصلح للديوان، و بخاصة في عبارة: «نزهة الخاطر»، التي توحي بدلالات عديدة.

فإذا تجاوزنا العنوان، فإننا نسجل أن نسخة «محمد» هذه تخلو من كثير من شروط التحقيق، فالهوامش فيها منعدمة إلا في حالات نادرة لا تصل عدد أصابع اليد الواحدة، كما أن الإحالات لا وجود لها، نهائياً والتوثيق كذلك، فضلاً عن أنها لم تخضع لمنهج معين في ترتيب القصائد كالمتبع في كل الدواوين القديمة باعتماد الحروف الهجائية، أو المنهج الحديث الذي يعتمد فيه البعض على الأغراض الواردة في الديوان مثل ما فعل «حقي» في هذا الجانب، وما اعتمده «صيام» بخصوص الحروف الهجائية، وقد كان يمكن أن يعيد الترتيب الذي اعتمده «محمد» إلى تاريخ نظم القصائد، ولكنها تخلو من ذلك كلياً، ومع ذلك فإن فضل الأمير «محمد»، يبقى واضحاً على كل من حاول تحقيق الديوان بعده لأنهم جميعاً استفادوا من عمله، فاعتمدوه أصلاً في واقع الأمر، كما فعل ذلك «حقي» ثم «صيام» من بعد مع اختلاف بين المحققين في نقطة واحدة هي استبعاد «حقي» لأشعار «المواقف»، في تحقيقه، كما فعل «الأمير محمد»، وإثبات «صيام» لها في نسخته كبقية أشعار الديوان الأخرى.

كما لا نجد عناوين قصائد الشاعر في هذه النسخة، مثل تلك التي تميزت بها نسخة «حقي» وإنما نجد قبل كل قصيدة أقوالاً مثل: «وقال قدّس الله سره، وعمّنا فيضه وبره»، و«قال طيّب الله ثراه في ابتداء إمارته»، و«قال رضي الله عنه حين استلم مدينة تلمسان من الفرنساويين»، وهكذا مع بقية القصائد، في كامل الديوان الذي يخلو من كل الفهارس العلمية، بما فيها فهرس الموضوعات أو القصائد في حين أثبت في نهايته جدولاً بالأخطاء المطبعية التي وردت فيه.

ب ـ نسخة الدكتور ممدوح حقي:

تعد نسخة الدكتور «ممدوح حقي» النسخة الثانية التي قدمت للقارئ العربي في حدود ما نملك حتى الآن من المعلومات، وهي نسخة من الحجم الكبير، بالقياس إلى نسختي «الأمير محمد» ونسخة «صيام»، مؤلفة من أربع وأربعين ومائتي صفحة (٢٤٤)، بلغ المعدل المتوسط للأسطر في صفحاتها بين عشرة، واثني عشر سطراً (١٠/ ١٢)، طبعت مرتين، الأولى لا يذكر المحقق تاريخها في مقدمتها، ويبدو أنها كانت في ظل الثورة التحريرية الجزائرية المباركة، والثانية بعد استقلالها سنة ١٩٦٤، بحسب ما ثبت على الغلاف، وقد عنون الديوان بـ «ديوان الأمير عبدالقادر» موضحاً العنوان بعبارة «شرح وتحقيق» تلا الغلافين الخارجي والداخلي إهداؤه الكتاب كما أسماه ونصه «إلى الجزائر العربية المجاهدة وأبطالها الميامين، وروح الأمير الشاعر عبدالقادر باني شخصية الجزائر الدولية، ومعيدها إلى عروبتها الصافية» ثم مقدمة الطبعة الأولى التي شغلت صفحات (من ٧ إلى ١٧)، فمقدمة الطبعة الثانية والتي اكتفى فيها بصفحة واحدة وفي المقدمة الأولى ذكر بعض النقاط والمحطات عن حياة الأمير عبدالقادر، كما أشار إلى تجاوزه أشعاره في المواقف، والتي رأى أنها «خليط عجيب من قوله وقول سواه» وباختصار بخصوص شعر الأمير فإنه وبعد أن ذكر بأن الأمير كان يعتقد أن الشعر من متمّات الفخر، والزينة، قال عن ديوانه:

«وديوانه الذي بين أيدينا ـ على ما يبدو لي ـ جزء قليل مما نظمه، جمعه قبلي ولده محمد باشا ، وأشار إلى أنه ضرب صفحاً عما قاله في «الحقيقة واللطائف»، وهو يعني بالحقيقة ما وراء الشريعة من التصوف الرمزي، وإني لأعرف له كثيراً من هذا النوع يتناشده رجال الطرق في أذكارهم، على أني وإن كنت قليل الشك في نسبته إليه، فلا ريب عندي في أنه أصبح خليطاً عجيباً من قوله وقول سواه من الدخلاء على هذا الفن، ومزيجاً غريباً من أقوال متفاوتة الدرجات، وأكثره محطم الوزن، مضطرب المعنى، يشق تخليص بعضه من بعض، وليس من وراء ذلك جدوى فنية ذات قيمة، والذي بين أيدينا فيه الكفاية، ليدل على مستواه في الشعر، وعلى الفنون التي تعاطاها، ومنزلته بين شعراء عصره، و وأسلوبه وقدرته. . وهو ـ على العموم ـ آخر حلقات الشعر المتحدر من القرون الوسطى بكل مافيه من مزايا وعيوب، وهو إلى النظم أقرب منه إلى الشعر. . . . »(٢)

فحقي بموقفه هذا من شعر الأمير حدد قصده من إصدار الديوان، فهو لم يبحث عن شعر الأمير كله، كما لم يسع إلى تحقيقه، وتوثيقه بالعودة إلى المصادر التي يمكن أن يستدرك بعضه عن غيره، وبخاصة نسخة «الأمير محمد» ويقارن بين ما في نسخة «الأمير محمد»، وتلك المصادر والمراجع، إذ المستشف من كلامه أنه أراد الوصول بالديوان الذي أعده إلى إعطاء صورة عن شعر الأمير من زوايا تمثيل شخصية الأمير، وعصره، ومستواه الفني، أما وقد تحقق له ذاك من المادة الشعرية التي اكتفى بها في الديوان، فقد استبعد شعر «المواقف» كله ما عدا قصيدة «أستاذي الصوفي» التي أثبتها كذلك الأمير محمد في الديوان، ونجدها في «المواقف» أيضا.

أما ماذهب إليه من بعض الشك في شعر «المواقف» على أنه ليس للأمير، فإن ذلك النزر من الظن عنده قد يعني بعض ما يمكن أن يضاف، أو يدس في ثنايا القصائد ليس إلا، لأن شعر «المواقف» ورد في مظانه كما أراد الأمير عبدالقادر نفسه ذلك، كونه المثبت له، والمرتب إياه في الكتاب.

فإذا تجاوزنا المقدمتين وجدنا شعر الشاعر قد اعتمد «حقي» في ترتيبه على أغراضه فجاء وفق هذا التسلسل: «الفخر»، من (ص ٢١ إلى ص ٥٠) و«الغزل» من (ص ٥١ إلى ص ٧٨)، و«مساجلات» من (ص ٧٩ إلى ص ١١٨)، و«مناسبات» من (ص ١١٩ إلى ص ١٨٠)، و«تصوف» من (ص ١٨١ إلى ص ٢١٤)، وهو ترتيب تبنى فيه منهجاً يعتمد الموضوعات أساساً لترتيبه وهو ما تبيحه المناهج الحديثة وتقره، فضلاً عن ذلك، فإن ترتيب الموضوعات التي نجدها في حد ذاتها بهذه الكيفية ترتيب معلل، فالفخر مثلاً الذي ابتدأ به هو من الموضوعات التي نجدها حاضرة بكثافة في تعبير الشعوب في مرحلتها الطفولية، بل وحتى البدائية، إلى جانب كون صاحب الديوان «الأمير عبدالقادر» مارس التجربة الشعرية في هذا الغرض، عملياً في مرحلة جهاده الطويلة، وعلى العموم فإن نسخة «حقي» يلاحظ عليها الآتي:

١ ـ عنونته جميع قصائد الديوان.

٢ ـ كما في نسخة «الأمير محمد» نجد فيها أشعار الشعراء الذين عارضهم الشاعر أو ساجلهم وعددهم ثمانية، والاكتفاء أحياناً بأبيات منها فقط، ونجد ذلك في الصفحات ٦٩, ٧٣, ٧٦, ٨٢, ٨٣, ٨٦, ٨٧, ٩٠, ٩٢, ٩٤, ٩٧, ١٠١, ١٠١, ١٠٦, ١١٨, ١٧٤.

٣ ـ توظيفه الهامش توظيفاً محدوداً لم يتجاوز بعض الشروح اللغوية، أو الملاحظات النحوية، والعروضية.

٤ ـ الإسهاب في التعليق على بعض القصائد.

٥ ـ عدم استعمال فهارس، عدا فهرس الموضوعات.

٦ ـ عدم تحديد بحور القصائد، مع بدئها، أو حتى في فهرسة الديوان.

٧ ـ لا وجود لقائمة المصادر والمراجع.

٨ ـ عدم توثيق كل النصوص التي ذكرها لغير الشاعر، كما لم يخرج الآيات القرآنية الكريمة ويحققها في الهوامش.

٩ ـ شكل القصائد محدود جداً نراه لا يفي بالغرض، ومع ذلك فقد تميزت به النسخة دون نسختي «الأمير محمد» و«صيام».

إن الملاحظات السابقة التي يستحسن أن تصحب أي تحقيق كان، والتي تضاف إلى إغفال بعض شعر الشاعر، كالقصائد التي وردت في «المواقف»، وفي «مذكراته» أبقت عمل «حقي» مفتوحاً على الاستدراك والإضافة وتوحي كذلك بأن عبارة «تحقيق» التي تصدرت مع العنوان غلاف الديوان لم يتمثلها كما ينبغي، ومع ذلك فإن جهد المحقق بدا واضحاً في عمله، وأنه أعطى ما يمكن في ضوء المادة المتوفرة لديه آنذاك، والمناهج البارزة حينئذ، وكون نسخة «حقي» امتازت عن نسخة «الأمير محمد» بعنونة القصائد، وترتيبها بحسب الأغراض، وكانت قناعتنا متوافقة مع قناعته، فقد اعتمدنا نسخته أصلاً في الجانبين معاً مع تعديلات وإضافات سننوه إليها لاحقاً عند توضيح ما أنجزناه وبما أشرنا إليه في الهوامش كذلك.

جـ ـ نسخة «زكريا صيام»:

هذه هي الإصدار الثالث للديوان، أو هي النسخة الثالثة التي وصلنا إليها، وهي بعنوان «ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري تحقيق وشرح وتعليق»، صدرت عن «ديوان المطبوعات الجامعية»، الجزائر سنة ١٩٨٨، بحجم متوسط بلغت صفحاته أربعين وثلاثمائة صفحة، قدم للديوان الدكتور «إبراهيم السعدي» في ثلاث صفحات من (ص٧ إلى ص ٩) تلت ذاك ترجمة الشاعر الأمير عبدالقادر من (ص ٣ إلى ص ٥٦) تخللتها صور للأمير في الصفحات: (١٧, ٢١, ٢٥) ولوحة رخامية تؤرخ معاهدة «تافنا» الشهيرة في (ص ٣٥) ثم صورة الأمير مجدداً في (ص ٣٩) مذيلة بختمه الرسمي، وهي غير واضحة نسبياً، كما نجد صورة الأمير وأفراداً من رجاله محاطين ببعض الفرنسيين في «أمبواز» السجن الذي سجن فيه بفرنسا، وصوراً أخرى للأمير

كذلك في صفحتي (٤٧, ٥٣) ومن (ص ٥٩ الى ٩٠) نقرأ ماكتبه المحقق عن شعر الأمير، بحيث بدأ موضوعاته معتمداً فيها على ما أثبته «حقي» رافضاً بعض العناوين التي اقترحها «حقي» لأنه يرى أنها لا تنسجم مع اتجاه الأمير الصوفي كعنوان «وليمة الله»، كما تحدث عن بنيوية شعر الأمير كما أسماها بشيء من الإيجاز فتناول المعجم بخاصة من (ص ٧٢ إلى ص ٩٠) وقد انتهى بخصوص هذه النقطة إلى القول في خلاصة مؤداها «وبعد فإن معالم شعر الأمير البنيوية، تجاوزت حدود عصره، إلى ماسبقه بقرون عديدة، واشرأبت إلى مشارف العصر الحديث ولو أمكنه التفصي من قيود عصره، التي أثقلت كاهل شعره لاقترب من خط محمود سامي البارودي الذي جمع بينه وبين الأمير مقومات متعددة الجوانب (كذا) تستحق الدرس من الباحثين»[٣].

ثم يبدأ الديوان بـ «الهمزة» من (ص٩٣، إلى ص ٣٢٠)، لتأتي بعد ذلك فهارس «الأعلام» و«الأماكن» و«القصائد والأبيات» كما أسماها فالفهرس العام. إن «صيام» خلاف «حقي» حاول اعتماد طريقة من طرق التحقيق فتميز عمله بالخصائص الآتية:

١ ـ حاول الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع في عمله، فاستحضر نسخة «الأمير محمد»، و«تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر»، للأمير «محمد بن عبدالقادر الجزائري» كذلك شرح وتعليق الدكتور «ممدوح حقي» كما رجع إلى نسخة الديوان لـ «ممدوح حقي»، لكنه خالف «الأمير محمد»، و«حقي» في ترتيب أشعار الديوان بترتيبه إياه ترتيباً هجائياً.

٢ ـ أسقط كل عناوين القصائد التي اقترحها «حقي» في نسخته.

٣ ـ اعتمد مخالفة كل ما استطاع مخالفته فيما ورد من شروح، وتعليقات، في نسخة «حقي»، وكأني به أراد إبطال جهد الرجل إبطالاً كلياً لدواع لا أدري أسبابها، وربما كانت فكرة «خالف تعرف» هي التي تحكمت في عمله.

٤ ـ لم يعوض عناوين «حقي» بأخرى ينتقيها من مضمون الأشعار، أو من معانيها، وكان مثل «الأمير محمد» يصدر قصائد الشاعر بمثل قوله: «وقال الأمير» و«وقال في التصوف»، و«وأنشد» و«ومما أنشده في ذلك القصر قوله»، و«ونظم المقطوعات. . . »، ما يعني أنه لم يعتمد أسلوباً واحداً بحسب المعتاد وعند بعض القدماء، وما تراه اتجاهات النقد في المناهج الحديثة.

٥ ـ عدم الدقة في تحديد الصفحات التي أخذ منها مثلا ذكره (ص ٦٤٠) في التحفة، والصحيح أن ما يعنيه موجود في الصفحة (٦٣٩) والأمر متكرر معه في أكثر من موقع كصفحة (٤٥٩)، و(٧٠٢)، وإغفال أرقام الصفحات أحياناً إغفالاً كلياً، كما ورد في صفحة (١٠٩)، حين أحال على «التحفة» دون تحديد الصفحة التي نجد فيها ما أخذ منها.

٦ ـ الإسهاب في الشروح والتعليقات والمقدمات التي يصدر بها النص كما في صفحة (٢١٥)، مثلاً حيث قدم لمقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات بخمسة أسطر كاملة.

٧ ـ الأخطاء العلمية، والتي نذكر منها على سبيل المثال عدم مراعاة السياق الذي يكون الشاعر في منحاه، والأخذ على الشاعر تصريف ما لا ينصرف، وهو ما يتاح للشاعر، ويباح له فيما يعرف بـ «الضرورات الشعرية»، ومثاله في الصفحة (٩٦)، وصفحة (١٠٠) حين جمع الشاعر «مفازات» بعد «كم».

٨ ـ عدم تخريج الآيات القرآنية وتوثيقها بتحديد مظانها في سور القرآن الكريم، وهذا في كامل الديوان.

٩ ـ عدم الدقة في إرجاع الاختلافات بين النسخ إلى مواطنها الحقيقية، فقد ذكر في صفحة (١٤٢)، أن عبارة «تمرمرت» وردت هكذا في «التحفة» وفي نسخة «الأمير محمد»، والصحيح أن العبارة في نسخة الأمير وردت «أثمرت» وليس «تمرمرت».

١٠ ـ إغفال الإشارات أحياناً إلى الخلافات الموجودة بين النسخ التي اعتمدها في تحقيقه، كما في صفحة (٢٢٠) حين لم يشر إلى الخلاف الموجود بين ما اعتمده، وما في نسخة «الأمير محمد»، وكذلك في الصفحة (٢٩٣).

١١ ـ التعسف أحياناً في أحكامه النقدية، على بعض الصيغ والتعابير، ومن ذلك ما علق به على قول الأمير «بل قد أفاض مدامعي»، حيث علق قائلاً: «يلاحظ تنافر الحروف في تعبيره».

١٢ ـ تخطئة الشاعر فيما لم يخطىء فيه للتسرع، أو لقلة الدراية، إذ نجده قد حكم على روي قصيدة الشاعر التي مطلعها:

«يا سواد العين! يا روح الجسدْ

يا ربيع القلب! يا نعم السندْ»

حكم على رويها بوجود «إقواء» فيها بكثرة لاعتقاده أن قافيتها مطلقة، والصحيح أن القصيدة من «الرمل»، وقافيتها مقيدة مما يبرئ الشاعر من الوقوع في الإقواء في قافيتها تماماً.

١٣ ـ عده زيادة بعض الحروف لدى الشاعر ترفاً في التعبير، ولا داعي لها كما في قول الشاعر في شطر البيت «أما آن للخل المريض بأن يبرا» حيث، عد حرف «الباء» زائدا في قوله «بأن»، والشطر كما نرى من «الطويل» ووجود الباء هنا ضرورية لحفظ الوزن من الاضطراب والانكسار، وهو مباح للشاعر.

١٤ ـ تصحيح بعض العبارات في المتن دون ذكر ذلك في الهامش، ففي بيت الشاعر:

«تكاد لذكراهم تذوب حشاشتي

ومالي سواهم من ولي ولا خال»

صحح ذكراهم، ولم يشر إلى ذلك في الهامش.

١٥ ـ عدم إعطائه أي معلومة من المعلومات عن مصادره، ومراجعه في التحقيق بحيث اكتفى بذكر عناوينها ونادراً ما يذكر اسم مؤلفها كلما رجع إلى أي منها، الأمر الذي جعلنا لا نعرف المعلومات اللازمة عنها فنراعيها في أثناء العودة إليها للاستفادة منها بشكل من الأشكال، ولأي غاية من الغايات الساعي إلى تحقيقها، والأبعد من هذا أنه لم يثبت قائمتها في آخر مؤلفه بحسب ما تقتضيه المناهج العلمية الحديثة.

١٦ ـ وخلاف جهد «حقي» بخصوص شكل ما يرى ضرورة شكله في الديوان فإن «صيام» لم يشكل أي حرف في الديوان نهائياً، ولا ندري ما سبب ذاك التقصير غير المستساغ كلياً في تحقيق تراثنا العربي.

١٧ ـ إسرافه في الهوامش وفي الشرح اللغوي للمفردات إسرافاً مخلاً حتى حول الديوان إلى شبه معجم لغوي، واقتناصه للفرص السانحة، والافتعال أحياناً أخرى من أجل الرد على «حقي» بالمناسبة وغير المناسبة، ما يصرف القارئ عن شعر الأمير ويشغله بتلك الشروح، والمعروف أن الهوامش ينبغي أن يتعامل معها بذكاء ومهارة ودقة حتى لا تطغى على المتن، فتصير هي نفسها متناً آخر على كاهل المتن الأصلي.

د ـ منتخبات «محمد ناصر»:

هذه مجموعة من قصائد الأمير بلغ عددها (١٨) قصيدة اختارها الدكتور محمد ناصر من ديوان الأمير عبدالقادر، وقدمها لطلاب الثانويات، طبعت في المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة ١٩٨٤، اعتمد فيها على نسختي «الأمير محمد» و«ممدوح حقي»، كما اعتمد على دراسة الأستاذ «عبدالوهاب بن منصور»، في بعض

الملاحظات والمعلومات التي قدمها عن الشاعر وشعره، فالكتيب إذن أعد لغاية محددة، وغرض معين لذلك ركز فيه المؤلف على الانتقاء، وشرح بعض المفردات، وتقديم ترجمة موجزة عن الشاعر دون الاهتمام بالجوانب العلمية الأخرى، ومع ذلك فإن المؤلف انفرد عن غيره ممن ذكرنا بإثباته قائمة المصادر والمراجع التي أخذ عنها في مؤلفه ذاك. وكون «المنتخبات» مع عدد نصوصها الضئيل بالقياس إلى ديوان الأمير فإننا لم نهملها في عملنا حتى نقترب من كل ما نشر من شعر الشاعر، إن لم نحط به كله، وقد رمزنا لمنتخبات «ناصر»، بحرف «ن».

هـ - الملحقــــان:

كما تبين فإن ديوان «الأمير عبدالقادر» الذي أصدره ولده «محمد»، والذي حذا حذوه فيه «ممدوح حقى» لم يضم كل شعر الأمير، بحيث استبعد عنه شعره الذي في «المواقف»، أما «صيام» فقد حاول استدراك ذلك، وأثبت ما وصل إليه من شعره في «المواقف»، ومع ذلك فقد فاتته بعض النصوص، كما سيلاحظ ذلك في مظانه في الديوان أو في الملحقين معا.

ولما كان المألوف في التحقيق هو اعتماد أكثر من نسخة عندما تكون موجودة، وكان الأمر هذا منسحباً هنا على ديوان الأمير، فإني ـ وكوني ـ لم أجد نسخاً أخرى لشعر الأمير في «المواقف» وفي غيرها فقد فضلت أن أبقي الديوان كما عده ابنه، ومن سار على نحوه، وأن ألحقه بملحقين: الأول وخصصته لشعره الذي أثبته الأمير بنفسه في المواقف، كما قيل، وربما لذاك فضل ابنه إبقاءه هناك على دمجه في الديوان، والثاني وخصصته لقصيدتين وردتا في مذكراته، كتبهما عن مدينتين فرنسيتين، ولأول مرة يشار إليهما في ديوانه الذي يكون جمع فيه كل شعره المتوصل إليه الآن.

وبالملحقين الموضحين آنفاً يمكن لنا القول: إن جهدنا قد سعى إلى جمع شعر

الأمير في دفتي ديوان واحد، وحاول في ظروف محددة زمنياً أن يستدرك ما فات من سبقنا، وأن يعرض صور كل المحققين السابقين مسقطاً بعض ما رآه زائداً، علمياً بحسب قناعتنا، مبعداً كل الأشعار التي كانت مثبتة في النسخ السابقة على أساس أنها وجهت للأمير مشيراً إلى أصحابها، وإلى مطالعها في الهوامش ومواطن وجودها لتخصيص الديوان لشعر صاحبه ليس إلا، وإثبات مواطنها للعودة إليها لمن أراد ذلك. إلى غير هذا مما ألمعنا إليه في المقدمة، أو في الصفحات هذه الخاصة بنسخ الديوان، وفي الهوامش والإحالات.

ويبقى جهدنا أبداً، جهداً بشرياً فيه من التوفيق ما فيه، ومن الضعف والخطأ ما فيه، وسنكون ممنونين لكل من يهدي إلينا أخطاءنا لنستدركها إن وفقنا الله إلى ذلك في حين آخر إن شاء الله.

****

إحالات:

(١) محمد (الأمير) بن عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، دار المعارف، مصر، بلا تاريخ، ص ١.

(٢) د. ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتعليق، دار اليقظة العربية، بيروت، ط٢ ١٩٦٤، ص: ١٤، ١٥، ١٦.

(٣) د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨، ص: ٩٠.

جدول الرموز
المستعملة في التحقيق

«أ» نسخة الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر.

«ت» نسخة تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، والأمير عبد القادر.

«ص» نسخة الدكتور زكريا صيام.

«ن» نسخة منتخبات الدكتور محمد ناصر.

«م» كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري.

«ح» نسخة الدكتور ممدوح حقي، وهي التي اعتمدناها أصلاً في التحقيق كما ذكر ذلك في موطنه

(م) المراجع.

****



أ - الفخـــر

وراء الصــورة (*)

[من الطويــل]

لــئنْ كَــانَ هــذا الــرسمُ يـعـطـيكَ ظـاهـري
فلـيس يُـريكَ الـرسمُ صـورتَـنـا الـعـظْمَى[1]

فــثَمَّ، وراء الــرسْمِ، شــخصٌ مــحــجَّبٌ
له هِـمّـة، تـعلُـو بـأخـمـصِـهَـا الـنـجْـمَـا

وَمَـا المَرْءُ بـالـوجه الـصـبـيح افـتـخـارُهُ
ولــكــنه بــالــعــقلِ، والخُــلُقِ الأســمَــى

وإِنْ جُــمــعت لــلــمــرء هــذِي وهـــذِه
فـذاك الــذي لا يُــبــتــغى بَــعْــدَهُ نُــعــمَى

****

(*) كان من عادة الأمير الشاعر أن يكتب هذه الأبيات تحت صورته أو خلفها لمن يهديها له.

(١) الأبيات في تج ص تج، ص: ٢٨٨ ـ ٢٨٣ و في « أ »، ص: ٥٣

أبونـا رســول الـله(*)

[من الطويـــل]

أبــونــا رســولُ الــلَّه، خــيــر الــورى طـرّا
فـمَنْ في الـورى يـبـغي يطـاولـنـا قَــــدْرا[1]

وَلانــا غــدا ديــنًــا وفــرضــاً مــحــتــمــاً
عـــلـى كل ذي لُبٍّ بِهِ يـــأمنُ الـــغَــــدْرا[2]

وحــسـبي بــهـذا الـفَـخْـرِ مِنْ كُل مـنـصــبٍ
وعن رتـبـةٍ تـسـمو.. وبـيـضـاءَ أو صـفْـرا[3]

بـعَلْـيَـائـنـا يـعـلـو الـفـخـارُ وإن يـكـــنْ
به قــد ســمــا قــومٌ، ونــالــوا به نــصْــرا

وبــالــلَّه أضـحـى عـزُّنـا وجـمـالُـنَـــــا
بــتــقـوى وعـلْم والــتــزوُّد للأخْــــرى[4]

ومنْ رام إذلالاً لــنـــا، قــلـتُ : حـــســـبـــنـــا
إلَه الـــورى، والجَـــدُّ.. أنـــعمْ بِه ذخـــرا[5]

****

( ) المقطوعة في تج ص تج،ص :١٦٣ ، و "ن" ص : ٣٢ .(١) يعتز، ويفتخر بأصله المنحدر من الأسرة النبوية الشريفة.

(٢) ولانا :ولاؤنا وفي تجن تج يأمن الكفرا"وكذلك في "أ" .(٣) أراد بالأبيض والأصفر الفضة والذهب.

(٤) في البيت معنى الآية : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة : ١٩٧ .

(٥) فــي تجنتج أنـــــــــــعـــم بـــــــــــذا. وأيـــــــــــضـــــــــــا فــي "أ".

بنا افتخر الزمان(*)

[من الوافر]

لَنَا في كلِ مكرمةٍ مجالُ
ومِنْ فوق السِّماك لنا رجالُ(١)
ركبنا للمكارمِ كلَّ هولٍ
وخُضنا أبحرًا ولها زِجالُ(٢)
إذا عنْها توانَى الغيرُ عجْزًا
فنحْنُ الراحلونَ لها العجَالُ(٣)
سوانَا ليس بالمقصودِ لمَّا
ينادِي المستغيثُ : ألا تعالُوا !!
ولفظُ الناس ليس له مُسَمَّى
سوانا والمنَى مِنَّا يُنَالُ
لنا الفخرُ العميمُ بكل عصرٍ
ومصْرٍ... هل بهذا مايقالُ ؟
نَرفعْنا ثوبَنا عنْ كلِّ لؤْمٍ
وأقوالِي تصدِّقها الفِعالُ(٤)
ولوْ ندري بماء المزْنِ يزري
لكانَ لنا على الظمأِ احتمالُ !!

(*) القصيدة في "أ "، ص: ٨٦٧ و "ت"، ص: ٤٦٠، ٤٦١ و: "ص"، ص :٢٥٧، ٢٦٠ ، و"ن"، ص : ٢٨، ٢٩ .

(١) السِّماك: أحد السماكين: الأعزل والرامح، وهما كوكبان نيران، ضرب الشاعر مثلاً بالسماك في علوّ المكانة، وسموّ الشخصية (م).

(٢) في كتب اللغة: الزَّجَل الجلبة، والزُّجلة: صوت الناس وجماعتهم، ولم ترد (الزجال) فكأن الشاعر وضعها في مكان الزَّجل تجاوزاً. (م).

(٣) في "ت" : عجال، والعِجال جمع العجلان: المُسرع والتعريف هو الأصح نحوياً، وكذلك في "ن".

(٤) في "ت" : فأقوالي.

ذُرَا ذا المجــدِ ـ حــقًــا ـ قــد تــعــالــتْ

وصـــدْقــاً قــد تــطــاولَ، لا يُــطَــالُ[1]

فلا جـــــزَعٌ ولا هـــــلـعٌ مَـــــشــــينٌ

ومـــنّــا الـــغــدرُ أو كــذِبٌ مــحــالُ[2]

ونــحــلُم إنْ جـنَى الــسـفــهـاءُ يـومًـا

ومِنْ قــبل الـــســؤالِ، لــنــا نــوالُ[3]

ورثْــنــا ســؤدُدًا لــلــعُــرْبِ يــبــقَى

ومــا تــبــقَى الــســمــاءُ ولا الجــبــالُ

فــبــالجَــدِّ الــقــديم عــلـتْ قــريشٌ

ومـــنّــا فـــوق ذا طـــابتْ فَـــعَـــالُ

وكـــانَ لـــنَـــا ـ دوامَ الـــدهـــر ـ ذكـــرٌ

بـــذا نـــطقَ الـــكــتـــابُ ولا يـــزالُ[4]

ومِـــنّــا لم يـــزلْ في كلِ عـــصـــرٍ

رجـــالٌ لــــلــــرجـــالِ هُمُ الـــرجـــالُ

لـــقـــدْ شـــادوا المـــؤسَّسَ مِنْ قـــديمٍ

بـــهمْ تـــرقَى المـــكـــارمُ والخـــصـــالُ

لـــهمْ هِـــممٌ ســـمتْ فـــوقَ الـــثُـــريَّــا

حـــمـــاةُ الـــدين، دأبـــهـمُ الـــنــضـــالُ

لـــهمْ لـــسْنُ الـــعـــلـــوم، لَــهــا احـــتــجــاجٌ

وبـــيضٌ، مـــا يـــثــلِّـــمـــهـــا الـــنـــزالُ

---

(١) في "ت" قد تعالى.

(٢) كذا بعطف النكرة على المعرفة (م).

(٣) في "ت": السفهاء حقاً. وكذلك في "ن"

(٤) استأنس بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٦ .

سـلُـوا، تـخـبـركمُ عـنـا فـرنـسـا
ويـصـدقُ إن حـكـتْ مـنـهـا المـقـالُ[1]
فـكـمْ لي فـيـهـمُ من يـومِ حـرْبٍ
بـه افـتـخـرَ الـزمـانُ، ولاَ يـزالُ

****

(١) في "ت" سلوا عنا الفرانس تخبركم. و: إذ حكت.

لبيــاك تلمســان(*)

[من الطويـــل]

إلى الــصــون مَــدَّتْ تــلــمــســانُ يــداهــا
ولــبّتْ فـــهــذا حــسنُ صــوت نِــداهــا
وقـــدْ رفَـــعتْ عـــنـــهـــا الإزارَ،فـــلجْ بِهِ
وبـــــرِّدْ فـــــؤادًا، من زلالِ نَـــــداهـــــا
وذا روضُ خـــدَّيـــهـــا، تـــفـــتَقَ نَـــورُهُ
فلا تـــرضَ مِنْ زاهـي الـــريـــاضِ عـــداهـــا
ويـــاطـــالمـــا عـــانتْ نـــقـــابَ جـــمـــالـــهـــا
عـــداةٌ وهـم ـ بـــين الأنـــام ـ عـــداهـــا[1]
وكم رائمٍ رامَ الجـــمـــال الـــذِي تـــرَى
فـأرْداه مـنـهـا : لـحـظُـهـا، ومُـنـاهَـا[2]
وحـــاوَل لــثْمَ الخـــال من وَرْدِ خـــدهـــا
فـــضـــنَّتْ بمـــا يـــبـــغي، وشطَّ مَـــداهـــا
وكم خـــاطبٍ، لم يُـــدْعَ كـــفـــئـــاً لـــهـــا، ولمْ
يـــشم طـــرفـــاً، من وشيِ ذيلِ رداهَـــا[3]
وآخـــرُ لم يـــعـــقـــدْ عـــلـــيـــهـــا بِـــعـــصـــمـــةٍ
ومـــا مـــسَّـــهـــا مـــســـاً أبـــانَ رضـــاهَـــا

*) الــقــصــيــدة في "أ"، ص: ٥، ٦ و "ت "، ص: ٢٨٦ بم ٢٨٧ و"ص"، ص : ٣١١، ٣١٤ وفي "ت" وردت القصيدة منسوبة كلها إلى الشاعر، بينما في "أ" تتوقف عند البيت «وآخر لم يعقد...»، ونسبت بقية القصيدة إلى «قدور بن محمد بن رويلة» الذي أكملها على الصورة التي هي عليها بدعوى أن الأمير لم يتمكن من ذلك، فطلب من كاتبه إكمالها، لكن روح القصيدة يبقى متجانساً فلا يحسسنا بذلك. [وانظر تعليق د. صيام على هذا الموضوع] (م).

واضطر الشاعر إلى نقل حركة اللام إلى الميم من تلمْسان لمناسبة الشعر. تنظر ترجمة تلمسان في: معجم البلدان والروض المعطار (م).

(١) في "أ" صانت، وأيضا في "ت".

(٢) في أتج ومداها، كذلك في تجتتج.(٣) شام: يريد نظر (م).

ولم تسمحِ العذرَا إليه بِعَطْفَة
ولم يَتمكنْ من جميلِ سناهَا
وشدَّت نطاق الصدِّ صونًا لحسْنِها
فلم يتمتَّعْ من لذيذِ لماهَا
وأبدتْ له مكْرًا وصدّاً وجفْوةً
وسدَّت عليهِ ما نوَى بنواهَا
و خَابتْ ظنونُ المفسدِينَ بسعيِهمْ
ولم تنلِ الأعدا هناكَ مُناهَا
قدِ انفَصَمتْ منْ "تلمسانَ" حبالها
وبانتْ وآلتْ لا يحلُّ عُراهَا
سوى صاحبِ الإقدام في الرأيِ والوغَى
وذِي الغيرةِ الحامي الغداةَ حماهَا[1]
ولمّا علمتُ الصدقَ منها بأنها
أنَالتْنِيَ الكُرْسِي، وَحُزْتُ علاها [2]
ولم أعْلَمَنْ في القُطْرِ غيرِيَ كافلاً
ولا عارفاً في حقِّها وبهاهَا
فبادرت حزماً وانتصارًا بهمتِي
وأمهرْتُهَا حبّاً فكانَ دواهَا [3]
فكنتُ لها بعلاً وكانتْ حَليلتِي
وعِرْسي، وملْكي، ناشرًا للواهَا[4]
ووشَّحْتُهَا ثوبًا منَ العزِّ رافلاً
فقامتْ بإعجابٍ، تجُرُّ رِداهَا

(١) في "أ" حماة.
(٢) في "أ" وجدت.
(٣) في "أ" و "ت" حب شفاء.
(٤) العِرْس – بكسر العين – الزوجة (م).

ونـــادَتْ أعْــبــدَ الــقــادرِ المــنــقــذَ الــذِي
أغــثْتَ أنَــاســاً من بــحـــورِ هــواهَـــا !![1]
لأنكَ أعْـــطـــيتَ المـــفـــاتـــيحَ عُـــنـــوةً
فَـــزِدْنِي أيـــا عـــزَّ الجـــزائـــرِ جـــاهَـــا
ووهْـــرَان، والمـــرسَـــاةُ كلاً بمـــا حَـــوَتْ
غــدتْ حــائــزاتٍ، من حــمــاكَ، مــنــاهَــا[2]

****

(١) في "أ" بحار.
(٢) في "أ" بمن حوت. ووهران مدينة تقع في غرب الجزائر وهي العاصمة الثانية بعد الجزائر العاصمة، والمرساة يريد مرسى وهران التي كانت مستهدفة في العصر الوسيط والحديث من قبل الغزاة الإسبانيين و غيرهم.

بي يحتمي جيشي(*)

[من الطويـــل]

تـــســـائـــلـــني أمُّ الــبـــنـــين، وإنَّـــهَـــا
لأعـــلمُ من تحتِ الـــســـمـــاءِ بـــأحـــوالِي

ألَمْ تـــعـــلـــمِي يـــا ربـــةَ الخـــدْرِ أنـــني
أجَـلِّي هـمـومَ الـقـوم، في يـوم تَـجـوالِي !!

وأغــشَى مـضـيقَ المـوتِ لا مـتـهـيِّـبـاً
وأحـمِي نـسـاءَ الحيِّ، في يـوم تَـهْـوالِ(١)

يـثْـقن الـنِّـسا بي حـيـثـما كـنت حـاضرًا
ولا تـثْـقَنْ في زوجـهـا ذاتُ خـلـخـالِ(٢)

أمــيـــرٌ إذا مـــاكـــانَ جـــيـــشي مـــقـــبِلاً
ومـــوقـــدُ نـــار الحـــربِ إذْ لم يـــكُنْ صـــالِي

إذَا مــــالــــقــــيتُ الخــــيل، إنِّي لأوَّلٌ
وإن جـــال أصـــحـــابِي فـــإني لـــهـــا تَـــالِ

أدافعُ عـــنــــهمْ مـــايـــخـــافـــون مِنْ ردىً
فـيـشـكـرُ كلُّ الخـلـقِ من حـسنِ أفـعـالِي

وأوردُ رايـــاتِ الـــطـــعـــانِ صـــحـــيـــحـــةً
وأصـدرُهـا بـالـرمِي تـمـثـالَ غـربـالِ(٣)

ومن عـادةِ الـسـاداتِ بـالجـيشِ تحـتـمِي
وبي يَـحْـتَـمِي جـيـشي وتُـحْـرَسُ أبـطـالِي

(*) القصيدة في "أ"، ص :١١، ١٢ ص : ٢٦٦ ،٢٦٩، "ن"، ص : ٣٠، ٣١ .

(١) التهوال، والجمع تهاويل، مايهول الإنسان ويحيّره (م).

(٢) قوله: «يثقن النسا» على لغةٍ ضعيفة. (م).

(٣) في "أ" آيات.

وبي تَتَّقي يومَ الطعانِ فوارسٌ
تخالينَهمْ في الحربِ أمثالَ أشبالِ
إذا مَا اشتكتْ خيلي الجراحَ تحمحماً
أقولُ لها : صبرًا كصَبْرِي وإجمالِي[1]
وأبذلُ يوم الروعِ نفساً كريمةً
على أنها في السلمِ أغلى من الغالِي
وعنِّي سلِي جيشَ الفرنسيس تعلمِي
بأنَّ منَايَاهمْ بسيفِي وعَسّالِي[2]
سلِي الليل عنِّي، كم شققتُ أديمَهُ
على ضامرِ الجَنْبَيْن، معتدلٍ عالِ
سلِي البيدَ عنِّي والمفاوزَ والرُّبا
وسهْلاً وَحَزْنًا، كم طويْتُ بترحالِي
فما هِمَّتِي إلا مقارعةُ العدَا
وهزْمِيَ أبطالاً شدادًا بأبطالِي[3]
فلا تهزئي بِي واعلمِي أننِي الذِي
أُهابُ، ولو أصبحتُ تحتَ الثرىَ بالِي

****

(١) في "أ" تشكي، والبيت على صلة بقول عنترة العبسي:
"فازور من وقع القنا بلبانه
وشكا إلي بعبرة وتحمحم"
(٢) في "أ" سلي عني، والبيت استوحى فيه قول عنترة أيضا:
"هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم."
والعسّال هو الرمح، و: عَسَل الرمحُ: اشتدّ اهتزازه واضطرب (م).
(٣) في "أ" لأبطال.

مـا في البداوة عيب(*)

[من البسيط]

يـا عـاذرًا لامـرئٍ قـدْ هـام في الحـضـرِ
وعـاذلاً لمحبٍّ الـبـدو والـقـفـرِ[1]

لا تـذممنَّ بـيـوتـاً خفَّ محـمـلُـهـا
وتـمـدحنَّ بـيـوتَ الـطـين والحـجـرِ !

لـو كـنتَ تـعـلمُ مـا في الـبـدوِ تـعـذرُني
لـكنْ جـهـلتَ وكم في الجـهلِ من ضـررِ !

أو كـنتَ أصـبـحت في الـصـحـراءِ مـرتـقـيًـا
بـسـاط رملٍ بـه الحـصـبـاءُ كـالـدُّررِ

أو جُـلتَ في روضـةٍ قـد راق مـنـظـرُهـا
بـكل لـون جـمـيـل شـيِّق عـطـرِ

تـسـتـنـشـقنَّ نـسـيـمًـا طـاب مـنْـتَـشَـقًـا
يـزيـد في الـروح، لم يمـرُرْ عـلـى قـذرِ[2]

أو كـنتَ في صـبحِ لـيلٍ هـاج هـاتِـنُـه
عـلـوتَ في مـرقَب، أو جـلتَ بـالـنـظـرِ[3]

رأيتُ في كلِّ وجه من بـسـائِـطـهـا
سِـرْبًـا من الـوحشِ يـرعى أطـيـبَ الـشـجـرِ

(*) نظم الشاعر القصيدة إجابة عن سؤال وجهه إليه بعض أمراء فرنسا وهو: "البدو أفضل أم الحضر؟".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ١٥، ١٦ و: "ت"، ص :٥٣٠ ، ٥٣٢، و "ن"، ص : ٣٣، ٣٦ و"ص"، ص : ١٧٢، ١٨٠ .

(٢) في "أ" لم يسري على. [والتوكيد في «تستنشقن» ضرورة. انظر معجم النحو ٤١٤] (م).

(٣) المرقب : المكان المرتفع يرتفع عليه الرقيب، والجمع مراقب.

فيالها وقفةً لم تبقِ من حَزنِ
في قلبِ مضْنَى، ولا كدّاً لذِي ضجرِ[1]
نُباكرُ الصيدَ أحيانًا فنبغتُهُ
فالصيْدُ منّا مدى الأوقاتِ في ذُعرِ[2]
فكمْ ظلمنَا ظليمًا في نعامتهِ
وإن يكنْ طائرًا في الجوِّ كالصقرِ[3]
يومُ الرحيلِ إذا شُدَّتْ هوادجُنا
شقائقٌ عَمَّها مزنٌ من المطرِ
فيهَا العذارَى وفيها قَدْ جعلْنَ كوًى
مرقَّعاتٍ بأحداقٍ من الحورِ[4]
تمشي الحداةُ لها من خلفِها زجَلٌ
أشهَى من الناي والسنطيرِ والوترِ[5]
ونحنُ فوق جيادِ الخيل نَركُضُها
شليلُها زينة الأكْفَالِ والخصرِ[6]
نطاردُ الوحشَ والغزلانَ نلحقُها
على البعادِ وما تنجُو من الضَّمَرِ
نروحُ للحيِّ ليلاً بعدمَا نزلُوا
منازلاً مابهَا لطْخٌ منَ الوضرِ[7]
ترابُها المسكُ بل أنقَى وجادَ بها
صوبُ الغمائمِ بالآصالِ والبكرِ

---

(١) في "ت" ضنكا، وفي "ص" من وقفة.

(٢) الصّيد هنا بمعنى المصيد (م).

(٣) في "أ" و"ت" مع نعامته، والظليم ذكر النعامة.

(٤) شبه عيون العذارى وهن ينظرن الى الرجال من خلف شقوق الستائر بالرقاع تستر هذه الكوى.

(٥) الحداة : واحدها حادٍ وهو الذي ينشد الإبل لحثها على السير، والسنطير آلة موسيقية شبيهة بالقانون.

(٦) الشليل : قطعة نسيج من صوف أو شعر توضع على عجز البعير من وراء الرحْل، وفي «ص»: شبه عرق الفرس بالشليل، والأكفال جمع الكفل: العَجُز (م)..

(٧) الوضر : القذر. [واللطخ: اليسير القليل من كل شيء] (م).

نـلـقَى الخـيـامَ.. وقـدْ صُـفَّتْ بـهـا ـ فـغـدتْ
مـثلَ الـسـمـاء زهتْ بـالأنْـجمِ الـزهـرِ
قـالَ الألى قـد مـضَـوا، قـولاً يـصـدِّقهُ
نـقلٌ وعـقْلٌ ومـا لـلـحقّ من غِـيـرِ :
"الحـسنُ يـظـهَـرُ في بـيـتـين، رونـقُـهُ:
بـيتٌ من الـشِّـعْـرِ أو بـيتٌ من الـشَّـعَـرِ"[1]
أنـعـامُـنـا إن أتتْ عـنـد الـعـشيِّ تَـخَلْ
أصـواتَـهـا كـدويّ الـرعـدِ بـالـسـحَـرِ
سـفـائنُ الـبَـرِّ بل أنـجَى لـراكـبِـهـا
سـفـائنُ الـبـحـر كم فـيـهـا من الخـطـرِ [2]
لـنـا المـهـارَى ومـا لـلـريمِ سـرعـتُـهـا
بـهـا وبـالخـيـل نِـلْـنَـا كلّ مـفـتـخـرِ [3]
فـخـيـلـنَـا دائـمـاً لـلـحـربِ مُـسْـرَجـةٌ
من اسـتـغـاثَ بـنـا بَـشِّـرْه بـالـظـفـرِ
نـحن المـلـوكُ فلا تـعـدلْ بـنـا أحـدًا
وأيُّ عـيشٍ لمنْ قـد بـات في خـفـرِ ؟![4]
لا نـحـملُ الـضَّـيْمَ ممَّنْ جـاءَ نـتـركُهُ
وأرضُه وجـمـيـعُ الـعـزِّ في الـسـفـرِ
وإن أسـاءَ عـلـيـنـا الجـارُ عـشـرتهُ
نـبـينُ عـنه بلا ضـرٍّ ولا ضَـرَرِ
نـبـيتُ: نـار الـقِـرى تـبـدُو لـطـارِقـنـا
فـيـهـا المـداواةُ من جـوع ومنْ خَـصَـرِ[5]

(١) البيت لأبي العلاء المعرّي، وقد ضمنه الشاعر في قصيدته.

(٢) سفائن البر: كناية عن الإبل.

(٣) مهاري جمع مهريّة: ناقة من أنجب النوق منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن (م).

(٤) لعل البيت فيه بعض ما في قول الزبرقان بن بدر : " نحن الكرام فلا حي يعادلنا ".

(٥) في "أ" تبيت.

عـــدُّونَـــا مـــالـه مَـــلْـــجَـــا ولا وَزَرٌ
وعـنْـدنـا عـاديـاتُ الـسـبقِ والـظـفـرِ[1]
شـــرابُـــهَـــا منْ حـلـيبٍ مَـا يــخـالـطهُ
مـاءٌ ولـيـس حـلـيبُ الـنـوقِ كـالـبـقـرِ
أمـــوالُ أعـــدائـــنـــا في كلِّ آونـــةٍ
نـقـضي بـقـسـمـتِـهَـا بـالـعَـدْل والـقـدرِ
مَـــا في الـــبَـــداوَةِ من عـــيبٍ تُـــذمُّ بهِ
إلاَّ المـــروءةُ والإحـــســـان بـــالـــبِـــدَرِ[2]
وصـحَّـةُ الجـسمِ فـيـهـا غـيـر خـافـيـةٍ
والـعـيبُ والـداءُ مـقـصـورٌ عـلى الحَـضَـرِ
من لمْ يمُتْ عـنـدنـا بـالـطـعْنِ عـاش مَـدىً
فـنـحنُ أطـولُ خـلـقِ الـلّه في الـعـمـرِ !!

****

(1) لابد من تسهيل همزة (ملجأ) لاستقامة الوزن (م).
(2) البِدَر (بكسر الباء وفتح الدال) جمع البَدْرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم (م).

شددت عليه شدة هاشمية(*)

[من الطويـــل]

تـــوسّـــدْ بمـــهـــد الأمنِ قـــد مـــرّتِ الـــنـــوَى
وزال لُـغـوبُ الـسـيـر من مـشـهـدِ الـثـوَى(١)

وعـــزٍّ جـــيـــادًا حـــاد بـــالـــنـــفس كـــرُّهـــا
وقـد أشـرفتْ ـ ممَّـا عـراهـا ـ عـلـى الـتَّـوَى(٢)

ألا كم جـــرتْ طـــلـــقـــاً بـــنَـــا تحتَ غـــيـــهبٍ
وخـاضتْ بـحـارَ الآلِ من شـدةِ الجـوَى ؟!(٣)

وكم مِن مـــفـــازات يـــضـلُّ بـــهـــا الـــقـــطَـــا
قـطـعتُ بـهـا والـذئبُ من هـوْلـهـا عـوَى(٤)

وقـــد أصـــبـــحتْ مـــثلَ الـــقـــسيِّ ضـــوامـــرًا
وتـلك سـهـامٌ لـلـعِـدَا وقْـعُـهـا شـوَى(٥)

إلـى أن بـــدَتْ نـــيـــرانُ أعلامِـــنـــا لـــهَـــا
وفي ضـوءِ نـيـرانِ الـكـرامِ لـهـا صـوَى(٦)

ولا ســـيَّـــمـــا أهلُ الـــســـيـــادةِ مـــثـــلُـــنـــا
بـنُـو الـشـرفِ المحضِ المـصـونِ عن الـهـوَى(٧)

(*) قال الشاعر قصيدته في معركة "خنق النطاح" قرب وهران، وقد وجه إليه فارس من الأعداء سهماً فمر نحو إبطه، ولم يصبه بأذى، وشد عليه الأمير ثم هوى على الفارس فأرداه قتيلاً. و قاد هذه المعركة والد الأمير عبد القادر "محيي الدين".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣، ٥ و: "ت"، ص :١٤٩، ٥٠ و: "ص"،ص : ٩٩، ١١٠ و"ن"، ص :٢١ ، ٢٦ واللغوب : التعب والإعياء. والثوى : النزول والإقامة.

(٢) في "ت"، جاد بالنفس والتوى:الهلاك.

(٣) في "أ"، و"ت"، وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب ، والجوى:الحزن الشديد..والغيهب : الظلام.

(٤) المفازات : الصحارى القاحلة، جمع مفازة.

(٥) في "أ" و"ت" لذا قد غدت ،والشوى:المتلاحق، أو اللحم إذا نضج شويا. [والشوى: الأمر الهيّن] (م).

(٦) في "أ" و"ت" وما ضوء، و: انزوى، والصوى: ما يستدل به في الطريق، وهو صوت الصدى أيضاً.

فـقـالت : أيـا ابن الـراشـديِّ لك الـهـنَـا
كفَى فاترك التّسيار واحْمَدْ وجى النّوَى[١]
ألا يـا ابْنَ خلاّدٍ تـطـاولتَ لـلـعُلا
وبـايَـنْتَ مـأواكَ الـكـريمَ ومـاحـوَى[٢]
فـمنْ أجل ذَا قَـد شُـدَّ في ربْـعـنـا لـهَـا
عـقـالٌ ونـاديـنـا : لك الـعـزُّ قـد ثـوَى[٣]
وحلَّ بـكَـهْفٍ لايُـرام جـنـابُهُ
فـمنْ حلَّ فـيه مـثـلُ من حلَّ في طُـوَى[٤]
فـإنَّـا أكـالـيلُ الـهـدايـة والـعُلا
ومِنْ نشْـر عـلـياهـا ذوي المجد قـد طَوَى[٥]
فـنـحنُ لـنَـا دينٌ ودنـيَـا، تَـجـمّـعـا
ولا فـخـر إلا مـالـنَـا يـرفع الـلِّـوا[٦]
مـنـاقبُ مـخـتـاريَّـةٌ قـادريَّـةٌ
تـسـامتْ وعـبّـاسـيـة مـجـدُهَـا احْـتَـوَى[٧]
فـإن شـئتَ عـلـمـاً تـلـقَـني خـيْـر عـالمٍ
وفِي الروع أخبـاري ـ غـدتْ ـ تُوهنُ القوَى[٨]

---

(١) في "أ" و"ت" يابن، وقصد بالراشدي نفسه، تثني عليه بالرأي الحصيف، الموصوف به أبوه قبله. والوجى: تعب الرجل، والمراد التعب عامةً.

(٢) في "أ" ألا ياابن خلاد، وهو الصحيح و«يابن» خطأ مطبعي في الأصل المعتمد، و: خلاد: مبالغة من خالد ـ وباينت : تركت، وهجرت.

(٣) في "أ"، و"ت" عقالا وهو كناية عن المكوث.

(٤) طوى : الوادي المقدس الذي نزل به نبي الله موسى عليه السلام، وقد ورد في قوله تعالى : ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالوَاد المَقَدَّس طُوَى﴾ طه : ١٢.

(٥) في "أ"، و"ت" فنحن. و: علياهم.

(٦) في "أ"، و"ت" ونحن لنا.

(٧) مختارية : منسوبة إلى محمد ﷺ النبي المختار، وقادرية : منسوبة إلى الطريقة الصوفية القادرية. وعباسية : أراد بني العباس أعمام رسول الله محمد ﷺ .

(٨) في معنى الحديث النبوي: «نُصرت بالرُّعب..».

لـنَـا سـفنٌ بـحـرُ الـحـديثِ بـهـا جـرَى
وخـاضتْ فطـابَ الـوردُ ممنْ بـهَـا ارتـوَى[١]

وإنْ رمتَ فـقهَ الأصـبـحيِّ فَـعُجْ عـلَى
مـجـالـسـنـا تـشـهَـدْ لـواءَ الـعـنَـا دوَا[٢]

وإنْ شـئت نـحـواً، فـانـحُـنَـا، تـلق مـا لَهُ،
غَـدا يـذْعِنُ الـبـصـريُّ زُهْـداً بمَـا روَى[٣]

ونـحـنُ سـقَـيـنـا الـبِـيضَ في كل مـعْـركٍ
دمـاءَ الـعـدا والـسـمـرُ أسْـعَـرتِ الجـوَى[٤]

أَلم تـرَ في لخـنْـقِ الـنطَـاحِلد نـطاحَـنَـاغدَاة
الـتـقـيـنَـا كمْ شـجـاعٍ لـهـمْ لـوَى؟![٥]

وكم هـامـةٍ ذاكَ الـنـهـارَ قـددتُـهـا
بـحـدِّ حُـسـامي والـقَـنـا طـعـنُه شـوَى[٦]

وأشـقـرَ تحـتِي كـلّـمـتْه رمَـاحُـهُمْ
ثـمـانٍ ولم يـشكُ الجـوَى بل ومـا الـتـوَى[٧]

بـيـومٍ قـضى نـحْـبـاً أخِي فـارتـقَى إلى
جِـنَـانٍ له فـيـهَـا نـبيُّ الـرضَـا أوَى[٨]

فـمـا ارتـدَّ مِنْ وقعِ الـسِّـهـام عـنـانُهُ
إلـى أنْ أتـاهُ الـفـوزُ راغمَ من غـوَى[٩]

---

(١) في "أ"، و"ت" به جرت. و: ممن به.

(٢) الأصبحي هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحيّ (توفي ١٧٩هـ). عج: أقبل والتفت.

(٣) فانحنا: اقدم، وتمثل طريقنا. البصري : أراد الحسن البصري.

(٤) في "ت" وإنا سقينا. والبيض : السيوف. والسمر : الرماح.

(٥) خنق النطاح :المكان الذي وقعت فيه المعركة المتناولة في النص، وهو قريب من وهران وكانت بقيادة محيي الدين والد الأمير عبد القادر. و في "ت" : لها لوى.

(٦) هامة: رأس ، وشوى :متتال ،متتابع.

(٧) في "أ" و "ن" جو ى ، وفي "ت" مرارا. وكلمته رماحهم :أصابته رماحهم ، والجوى :الحزن الشديد.

(٨) اراد بأخي ابن أخيه أحمد بن محمد سعيد الذي استشهد في معركة خنق النطاح الثانية :والبيت فيه معنى من قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ الأحزاب :٢٣ .

(٩) في "ت" يرغم من عوى. وأراد بأتاه الفوز استشهاده في سبيل الله والذود عن الوطن.

ومِنْ بـيـنـهمْ حـمَّـلْـتهُ حـينَ قـدْ قَـضَى
وكمْ رمْـيـةٍ كـالـنَّـجْمِ منْ أفْـقهِ هـوَى
ويـومَ قـضَى تحـتِي جـوادٌ بـرمْـيَـةٍ
وبي أحْدَقـوا لـولاَ أولُـو البَـأس والـقوَى [1]
وأسـيَـافُـنَـا قـدْ جُـرِّدَت من جـفـونِـهَـا
ورُدّتْ إلـيـهـا بـعـدَ وِردٍ وقَـدْ روَى[2]
ولمَّـا بَـدَا قِـرْني بـيـمـنـاهُ حَـرْبَـةٌ
وكـفِّي بـهَـا نـار بـهـا الـكبْشُ قَـدْ شـوَى [3]
فـأيـقَنَ أنِّي قـابضُ الـروحِ فـانـكَـفَـا
يُـولِّي فـوافـاهُ حُـسَـامِيَ مُـذْ هـوَى
شَـددتُ عـلـيهِ شـدةً هَـاشِـمـيَّـةً
و قـدْ وردُوا ورِد المـنَـايَـا عـلى الـغَـوَى [4]
نـزلتُ بـبـرجِ الـعـينِ نـزلـةَ ضَـيـغمٍ
فـزادُوا بـهـا حـزْنًـا وعـمَّـهُمُ الجـوَى [5]
ومـا زلتُ أرمـيـهمْ بـكلِ مـهـنَّـدٍ
وكلِّ جـوادٍ هَـمُّهُ الـكَـرّ لا الـشَّـوَى [6]
وذَا دأبُـنـا. فـيهِ حـيـاةٌ لـديـنـنَـا
وروحُ جـهـادٍ بـعـدمَـا غُـصْـنُه ذوَى [7]

(١) أولو البأس :جنوده المسلمون.
(٢) الجفون جمع الجَفْن: غمد السيف (م).
(٣) في "ت" : يشتوى، والقرن : الخصم و الكفء. والكبش هنا زعيم القوم.
(٤) في "ت" : عليهم. والغوى: الضلال.
(٥) برج العين : مكان يقع غرب مدينة وهران. وقد وقعت فيه معركة بعد معركة خنق النطاح وكان الجيش الاستعماري بقيادة الجنرال "بويه" حاكم وهران آنذاك.
(٦) الشوى: التقهقر والانسحاب، والبيت فيه من بيت عنترة:« ما زلت أرميهم بثغرة نحره..»
(٧) وأراد «بذوى الغصن» التخلي عن الجهاد، وقبول الهوان و الذل، والاستكانة.

جــزَى الــلّهُ عــنَــا كلَّ شـــهم، غـــدتْ بهِ
لخغريـــسُلد لـهَا فضلٌ أتانَا وما انـزوَى [١]

فـكمْ أضـرمُـوا نـارَ الـوَغى بـالـظُّـبَـا مـعِي
وصـالُـوا وجـالُـوا والـقـلـوبُ لـهَـا اشْـتـوَا[٢]

وإنَّــا بــنُــو الحــربِ الـعـوانِ لــنـا بــهَـا
ســرورٌ إذا قــامتْ وشــانِــئُــنَــا عَـوَى [٣]

لــذاكَ عـروسُ المــلكِ كـانتْ خـطـيـبـتِي
كـفـجْـأةِ مـوسَى بـالـنّـبـوةِ في طُـوَى [٤]

وقـدْ عَـلّـمَـتْـنِي خـيـرَ كفءٍ لـوصْـلـهَـا
وكمْ رُدَّ عـنْـهـا خـاطبٌ بـالــهَـوى هـوَى

فــواصَــلْــتُــهَـا بـكـرًا لـديَّ تـبـرَّجتْ
ولي أذعـنَتْ والمـعْـتَـدِي بـالـنَـوى ثَـوَى

وقَـدْ سـرتُ فـيـهمْ سِـيـرةً عُـمَـرِيَّــةً
وأسـقـيْتُ ظـامـيـهَـا الـهـدايـةَ، فـارْتـوَى [٥]

وإنِّـي لأرجُـــو أنْ أكـــونَ أنـــا الـــذي
يـنـيـرُ الـديـاجِي بـالـسَّـنـا بـعـدمَـا لـوَى [٦]

(١) غريس : قبيلة من قبائل غرب الجزائر، وقفت إلى جانب الأمير عبد القادر في جهاده.
(٢) اشتوا: مخففة من اشتواء
(٣) في "أ"، و"ت" : هالنا. الشانىء : الكاره الحاقد، والباغض.
(٤) ذهب في البيت إلى أنه فوجىء بالإمارة كما فوجىء موسى عليه السلام بالنبوة في الوادي المقدس.
(٥) سيرة عمرية : أراد عمر بن الخطاب في عدله، وحزمه وتقواه.
(٦) لوى : خمد وانطفأ وطوي. والسنا: الضياء.

بــجــاهِ خــتــامِ المــرســلــين مُــحــمــدٍ

أجل نــبــيٍّ كلَّ مــكــرمــةٍ حــوَى

عــلــيــهِ صلاة الــلّــهِ ثم سلامهُ

وآلٍ وصــحــبٍ مــا سَــرى الــركبُ لــلــوَى

ومــا قــالَ بــعــد الــســيــر والجــدِّ مــنــشــدٌ :

"تــوسّــدْ بمــهــدِ الأمــنِ قَــدْ مــرَّتِ الــنــوَى"

****

ب - الغـــــزل

مسلوب الرقاد(*)

[من الوافر]

ألا قلْ لِـــــلَّـــــتِي ســـــلَـــــبَتْ فُـــؤادي
وأبـــــقـــــتـــــنِي أهـــــيمُ بـــــكلِّ وادِ :[1]
تـــركْتِ الـــصبَّ مـــلـــتـــهـــبًـــا حـــشَـــاهُ
حـــلـــيفَ شـــجًى يـــجـــوب بـــكلِّ نـــادِ[2]
ومَـــا لِي فِي الـــلـــذائـــذِ من نـــصـــيبٍ
تُـــودّع مـــنهُ مـــســـلـــوبَ الـــرقـــادِ

****

(*) قالها في ابنة عمه.

(1) مقطوعة في "أ"، ص : ١٧ و"ص"، ص : ١٣٥ وفي "أ" و"ص" وادي. يبدو أثر القرآن الكريم واضحًا في شعر الشاعر، فقوله : "أهيم بكل واد" مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الشعراء : ٢٢٥ .

دمــوع ونار(*)

[من الطويل]

إلامَ فؤادِي بالحبيبِ هَتَورُ؟نجونارُ الجوَى بين
الـــــــــضــــــــلــــــــوعِ تــــــــثــــــــورُ ؟![1]
وحُـزْني معَ الـسـاعـاتِ يـربُـو مـجـددًا
ولــيــلِي طــويلٌ والمــنَــامُ نَــفُــورُ
وحـتَّى مـتى أرعَى الـنـجـومَ مُـسـامـرًا
لــهَــا ودمــوعُ الــعــينِ ثَمَّ تــفــورُ ؟!
أبــيتُ كــأنِّي بــالــسِّــمــاكِ مــوكَّلٌ
وعــيــنِيَ حــيثُ الجَــدْيُ دارَ تــدورُ[2]

****

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(١) المقطوعة في "أ"، ص : ٥٤، و"ص"، ص : ٢٠٨، وفي "أ" و قلبي. وهتور : مولع دنف.

مـنـُّـوا بلقيـاكم(*)

[من الطويل]

فــإِنْ كــانَ هــذَا الــبــعــدُ تــأديبَ مــذْنبٍ
فـإنَّـا بـهـذا الـقـدر صـرْنَـا عـلى شَـفَـا[1]
وإنَّــا لــنَــخْــشَى إنْ تــطــاولَ بــعــدُكُمْ
يــصــيــرُ لــكمْ ســلــوَى فلا يُـرتجَى شِـفَـا
فــمــنُّــوا بــلــقــيــاكمْ وإلاَّ فلا بــقَــا
وَرِيحُ الـفـنـا تـسْـفِي عـلـيـنَـا إذاً سـفَـا[2]

****

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(١) المقطوعة في "ص"، ص :٢٤٢ [وقوله «صرنا على شفا»: شفى كل شيء حَرْفه؛ يقول: إنه صار على شفا مشكلة أو مصيبة..] (م).

يتيه بدلّه عمدا (*)

[من الوافر]

أودّ بـــأنْ أرَى ظَــبي الــصَــحَــارى
وأرقُبَ طــيــفَهُ والــلــيلُ ســارِ[1]

وأطــلُبَ قــربه، فــيــزيــدُ بُــعْــدًا
قــديمــاً من وصــالٍ في نــفــارِ[2]

وهــذَا الــظــبيُ لا يــرعَى ذِمَــامــاً
ولاَ يــرضَى مــؤانــســةً لِــجَــارِ[3]

يــتــيهُ بــدلّه ويــصــولُ عــمــدًا
غــنيٌّ بــالجــمــالِ فلاَ يُــداري

أمَــازِحُهُ فلا يــرضَى مــزَاحــاً
وأســألهُ المــراءَ فلا يُــمَــارِي[4]

ويــعْــتــبــنِي فــيكــسُو الــقــلبَ بَــسْــطًا
لأنَّ الــعــتْبَ يــطــفِي حــرَّ نَــارِي

فــإنْ هُــوَ لمْ يَــجُــدْ بــالــوصلِ أصْلاً
ويُــدْنِ الــطَّــيف من سَــكَــني و دارِي

(*) موجهة لابنة عمه كالقصائد السابقة.

(١) القصيدة في "أ" ، ص:١٧ ،و "ص"، ص : ١٥٨، ١٦٠ و"ت"، ص : ٥٤، و في "أ" سارى.

(٢) في "أ" من وصالي.

(٣) في "ص" ولا يرعى مؤانسة.

(٤) خرج الشاعر بـ (المراء) عن المعنى المعروف إلى مقتضى المغازلة وما هو بسببه من قول أو ممازحة.

أقُلْ لــــــلــــــنــــــفسِ : ويكِ ألاَ فـــــذُوبِي
ومــوتِي فـــالــقـضــاءُ عــلــيكِ جَــارِ !![1]
ويـــسْـــلُـــبــنِي الحــــيـــاةَ إذَا تـــبَـــدّى
بـــوجهٍ في الإضـــاءةِ كـــالـــنَّـــهـــارِ

****

(١) في "أ" جاري.

بنت العم(*)

[من الوافر]

أقـــاسِي الحبَّ مِنْ قـــاسِي الـــفـــؤادِ
وأرعـــــــاهُ ولا يـــــــــرعَى ودادِي(١)

لخأريـدُ حياتَها وتريدُ قتلِيلحبهجرٍ أو بصدٍّ
أو بـــــــــــــــــعـــــــــــــــــادِ(٢)

وأبـكـيـهَـا فـتـضـحكُ ملءَ فـيـهَـا
وأســــهــرُ وهْي في طـــيبِ الـــرقـــادِ

وتـــعـــمَى مـــقـــلـــتي إمّـــا تـــنـــاءَتْ
وعـــيـــنـــاهَـــا تـــعـــمَّى عن مـــرادِي(٣)

وتــــهـــجُـــرني بلا ذنبٍ تـــراهُ
فــظـــلـــمِي قـــد رأتْ دون الـــعـــبـــادِ

وأشـكـوهَـا الـبـعـادَ ولـيس تـصـغِي
إلى الـــشـــكـوَى وتـــمـــكثُ في ازديـــادِ

وأبـــذلُ مـــهـــجـــتي في لـــثمِ فـيـــهـــا
فـــتـــمـــنـــعـــنِي وأرجعُ مـــنه صـــادِ(٤)

وأغـــتـــفـرُ الـــعـظـيمَ لَـــهَـا وتُـحـصِي
عـــلـيَّ الـــذنبَ في وقتِ الـــعـــدادِ

وأخـــضعُ ذِلَّـــة فـــتـــزيـــدُ تـــيـــهـــاً
وفي هـــجـــرِي أراهَـــا فِي اشـــتـــدادِ

(*) تغزل فيها بابنة عمه التي هي زوجته

(١) القصيدة في "أ" ص : ٣١،٣٠ و في "ص"، ص : ١٣٣، ١٣٥، و: "ن"، ص : ٤٦،٤٥ .

(٢) في "أ" بعادى. [وفي البيت تضمين قول الشاعر عمرو بن معد يكرب:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُرادِ] (م).

(٣) في "أ" مقلتي إن ما رأتها.

(٤) وجه الكلام أن يقال: أرجع منه صادياً، والصادي: العطشان (م).

فَمَا تنفكُّ عنِّي ذات عزٍّ
وما أنْفكُّ في ذُلِّي أنَادِي

فمَا فِي الذلّ للمحبوب عارٌ
سبيلُ الحبِّ ذلٌّ للمرَادِ[1]

رضَا المحبوبِ ليسَ لهُ عديلٌ
بغيرِ الذلِّ ليس بمستفادِ

ألاَ مَن منصفِي من ظَبْي قفرٍ
لقدْ أضحتْ مراتعُه فؤادِي ؟!![2]

ومِنْ عجبٍ تهَاب الأسْدُ بطشِي
ويمنعُني غزالٌ عنْ مرادِي

ومَاذا !؟ غير أنَّ لهُ جمالاً
تملَّك مهجتِي ملك السَّوَادِ[3]

وسلطانُ الجمال له اعتزازٌ
على ذِي الخيلِ والرجُلِ الجوَادِ[4]

وهذَا الفعلُ مغتَفَرٌ وزينٌ
إذا ـ يوماً ـ أبيتُ على مَعَادِ

فإن رضيتْ عليَّ أرتْ مُحَيّاً
بشوشاً بالملاحةِ ظَلَّ بادِ[5]

---

(١) في "أ" سبيل الجد.

(٢) ظبي قفر : كنى به عن المرأة.

(٣) يقال السواد للعين، ويُستعار للقلب «سويداء القلب» (م).

(٤) ذو الخيل : الفارس الشجاع، وأراد بالرجل الجواد : أن الكريم يجود للجمال بإبائه، وعزمه ويخضع له.

(٥) في "أ" ضل بادي [يريد ظل بادياً] (م).

خَـــلـــيـــلِي !! إنْ أتـــيتَ إليَّ يَـــوْمـــاً
بـــشـــيـــرًا بـــالـــوِصَـــالِ وبـــالـــودادِ
فـــنـــفـــسِي بـــالـــبـــشَـــارَةِ إنْ تَـــرُمْـــهَـــا
فـــخـــذهَـــا بـــالـــطـــرِيفِ وبـــالـــتلادِ[1]
إذَا مـــا الـــنـــاسُ تـــرغبُ في كـــنـــوزٍ
فـــبـــنْتُ الـــعمِّ مـــكـــتـــنَـــزِي وزادِي

****

(١) الطريف : الجديد، والتليد : القديم.

جودي بطيف(*)

[من الطويل]

جفانيَ منْ أمِّ البنين خيالُ
فقلبي جريحٌ والدموعُ سجالُ[1]
ولو قلتُ : دمعِي قد ملكتُ فكاذبٌ
بدعوايَ بلْ ذَا غرَّةٌ وضَلاَلُ[2]
وبي مايزيل العقلَ عن مستقرِّه
فَلا تعجبُوا إن قيل : فيه خَبالُ[3]
ومَاهِي إلا الروحُ بَلْ إن فقدتُهَا
فإنَّ بقائِي دونَها لمحالُ
أحبُّ الليالِي كي أفوزَ بطيفهَا
وأرجُو المنَى بلْ قد أقول : أنالُ
أكلِّفُ جفنِي النومَ عَلِّيَ أنْ أرَى
مثالاً لها يسْرِي وليس مثالُ
فقولُوا لها : إن كنتِ ترضينَ عيْشتي
فجودِي بطيفٍ إنْ يَعِزَّ وِصالُ[4]
فينعَم قلبي والجوارحُ كلّه
وإلاَّ فعيْشِي محنةٌ ووبالُ

****

(*) قالها مناجياً زوجته.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣١، ٣٢ و"ص" ص : ٢٦٠، ٢٦١ و"ن" ص : ٥٤ وسجال : متدفقة منهمرة.

(٢) في "أ" ذا عزة [و: غرَّة، بكسر الغين، أي خداع].

(٣) في "أ" من مستقرة. والخبال: فاقد العقل، أو القريب من ذلك.

(٤) في "أ" ترضي بعيشي [يعزّ: يصعب ويتعذّر] (م).

فراقك نار(*)

[من الطويل]

أقــولُ لمحــبــوبٍ تــخــلَّف من بــعْــدِي
عــلــيلاً بـأوجـاعِ الـفـراقِ وبـالـبُـعْـدِ(1)

أمَـا أنتَ - حــقّــاً - لــو رأيتَ صـبـابـتِي
لــهـانَ عــلـيك الأمــرُ من شــدةِ الــوجــدِ

وقــلْتَ : أرَى المــســكــينَ عــذَّبهُ الــنــوَى
وأنْــحــلــهُ ـ حــقّــاً ـ إلى مــنْــتَــهى الحــدِّ

وســاءَكَ مَــا قــدْ نــلــتُ من شــدةِ الجــوى
فــقلتَ : ومـا لـلـشـوقِ يـرمـيكَ بـالجدِّ ؟!(2)

وإنِّي ـ وَحـقِّ الـــلّــه ـ دائمُ لـــوعـــةٍ
ونــارُ الجــوَى بــينَ الجــوانحِ في وقْــدِ(3)

غــريقٌ أســيــرُ الــسـقْمِ مـكْـلُـومُ الحـشـا
حـريقٌ بـنـارِ الـهـجـرِ والـوجْـدِ والـصـدِّ(4)

غــريقُ حــريقٍ هل ســمــعــتُمْ بمــثلِ ذا؟!
فــفِي الــقــلبِ نــارٌ والمــيــاه عــلى الخــدِّ

حــنــيــنِي أنــيــنِي زفْــرتِي ومــضَــرَّتِي
دموعِي خـضـوعِي قـد أبـانَ الـذي عـندِي(5)

(*) قال القصيدة في زوجته عندما كان في إسطنبول، وأرسلها إليها في بروسة، ضمنها تشوقه إليها.

(1) القصيدة في "أ" ص : ٣٢، ٣٣ و: "ت"، ص : ٥٩٥، و "ص"، ص : ١٤٤، ١٤٨ و "ن"، ص : ٤٣، ٤٤

(2) في "ت" : أرماك بالجد. والجوى : حرقة الوجد، وشدته.

(3) في "ت" فإني ـ وحق الله ـ

(4) لا يستقيم الوزن إلا بتنوين ميم (مكلوم) على معنى (الحشا مكلوم)؛ ويكون قوله: مكلوم الحشا، جملة اسمية، المبتدأ فيها مؤخر (م).

(5) في "أ"، و"ت" : أبانوا لما عندي.

ومنْ عــجبٍ صــبــرِي لــكلِّ كــريــهــةٍ
وحَــمْــلي أثــقــالاً تجلُّ عن الــعــدِّ[1]

ولــستُ أهــابُ الــبِــيضَ كلا ولا الــقــنَــا
بــيــومٍ تــصــيــر الــهامُ لــلــبِــيضِ كــالــغِــمْدِ

ولا هَــالــنِي زحفُ الــصــفــوفِ و صــوتُــهــا
بــيــومٍ يــشــيــب الــطــفلُ فــيه مع الــمُــردِ

وأرجــــاؤُهُ أضــــحتْ ظلامـــاً و بــــرقُهُ
ســيــوفــاً وأصــواتُ المــدافِع كــالــرَّعْــدِ[2]

وقــدْ هــالــنِي بل قــدْ أفــاضَ مــدامــعِي
وأضــنَى فــؤادِي بل تــعــدَّى عن الحــدِّ[3]

فــراق الــذي أهــواهُ كــهْلاً ويــافــعــاً
وقــلــبِي خــليٌّ من ســعــاد ومن هــنْــدِ

فــحــلَّتْ مــحلاً لمْ يــكنْ حُلَّ قــبْــلَــهَــا
وهــيــهاتَ أن يــحْلُلْ به الــغيــرُ أو يــجدِي[4]

وقــدْ عــرَّفَــتْني الــشــوقَ من قــبلُ والــهــوَى
كَــذَا والــبكــا ـ يــا صــاحِ ـ بــالــقــصــر والمدِّ

وقــدْ كــلَّــفــتْــني الــلــيلَ أرعَى نجــومَهُ
إذا نَــامه المــرْتــاعُ بــالــبــعــد والــصــدِّ[5]

فــلــوْ حَــملتْ رَضــوى من الــشــوق بــعضَ مَــا
حــمَــلْتُ لــذابَ الــصــخــرُ من شــدَّة الــوجْــدِ

(١) في "أ"، و"ت": لأثقال.

(٢) في "ت" : سيوف وأصوات.

(٣) يقال تعدّى الأمر (دون حاجة إلى الأداة: عن) (م)

(٤) في البيت ضرورة شعرية هي عند النقاد والعروضيين ضرورة قبيحة في جزم الفعل المضارع «يحلل» وحقّه النصب بأنْ. وكلمة (يُجدي) تحتها نظر وإن ثبتت في المصادر المطبوعة كذلك.

ألاَ هل لـــهــذَا الــبـــينِ من آخِـــرٍ؟ : فَـــقَـــدْ
تــطــاولَ حــتــى خِــلتُ هـــذا إلى الــلـــحْــدِ
ألاَ هل يـــجـــودُ الـــدهـــرُ بـــعـــدَ فـــراقـــنـــا؟!
فــيــجْــمــعــنَــا والــدهــرُ يــجــري إلىَ الــضِّــدِّ
وأشـــكُـــوكَ مـــا قـــدْ نـــلــتُ من ألمٍ ومَـــا
تحـــمَّـــلـه ضَـــعـــفي وعـــالجه جَـــهْـــدِي
لـــكيْ تـــعـــلـــمِي ـ أمَّ الـــبـــنـــينَ ـ بـــأنَّهُ
فـــراقُك نـــارٌ واقـــتـــرابُك من خُـــلْـــدِ

****

أرضى بطيف خيال(*)

[من البسيط]

أحــبَــابَ قــلــبِيَ !! كم بــيــنـي وبــيــنــكمُ
منْ أبــحــرٍ وصــفُــهــا قــد دقَّ عن حــدِّ !!(١)
تحــارُ فــيــهــا الــقــطــا، والــعيُّ يــدركــهَــا
حتىَّ الجــهــاتُ بــهــا تَــخْــفى عنِ الــقصْــدِ
مَــا كــنتُ أدرِي بــأن الــدهــرَ يــبــعــدكمْ
عــنِّي ويــتــركــنِي ـ من بَــعدكــم ـ وحْــدِي
قَدْ خــانــنِي الــصبــرُ مــا أجــدَى بمــنــفــعةٍ
سيلُ المــدامعِ قدْ ســالــتْ عَلــى خــدِّي(٢)
والــطَّــيف مــثَّل لي أوصــافَــكم فــبــدا
بشْرَى ومذْ قمتُ غــير الحــزنِ مــا عندِي(٣)
هلِ الــغــزالُ الــذي أهــواهُ يــسْــعــفــنِي
بــالــوصل يــومــاً كمــا قــدْ كــانَ في الــعَــهْدِ ؟
هل الــنــفــورُ الــذي أهــواهُ يــسْــعــدنِي
بــالــقــربِ من بــعــدِ مــا أبــدَى من الــصدِّ ؟
يــا ذَا الــنُّــفــور الــذي في الــقــلبِ مــرتــعُهُ !
ارتَــعْ بــه لا تُــرَعْ فــالــصبُّ في بُــعــدِ
إنِي وإن كــنتَ مــنِّي نــافــرًا فــلــقــدْ
أرضَى بــطــيفِ خــيــالٍ مــنك لا يــجــدِي

****

(*) أرسل هذه القصيدة إلى ولده في بروسة، و هو في باريس بعد إطلاق سراحه، ورحلته الأولى إليها في ١٢٧١هـ.

(١) القصيدة في : "أ"، ص : ٣٢، و"ت"، ص : ٥٩٤. و"ص"، ص : ١٣٨،١٣٧ وفي :"أ"، و"ت" قد صين عن حد، وهو من صان يصون بني للمجهول.

(٢) في "أ"، و"ت" سوى المدامع.

(٣) أي قمت من النوم. ولمـّا صحا ذهب عنه طيفُها فاغتمَّ لذلك (م).

ذات خلخال(*)

[من الطويل]

خـلـيـلـيَّ ! وافتْ مـنـكمُ ذاتُ خـلْـخَـالِ
تَـتـيـهُ عـلـى شـمسِ الـظـهـيـرَةِ بـالـخـالِ(١)

تـمـيسُ فـتُـزْرِي بـالـغـصـونِ تـمـايلاً
تـروحُ وتـغـدُو في بُـرودٍ منَ الخـالِ(٢)

لـهَـا مـنـطقٌ حـلـوٌ به سـحـرُ بـابلٍ
رخـيمُ الـحـواشِي وهـو أمـضى منَ الخـالِ(٣)

مـوشَّـحـةٌ من طـرْزِكمْ بـبـدائعٍ
مـحـجَّـبـةٌ عن كلِّ ذي فـطـنـةٍ خـالِ(٤)

وكـسْـوتُـهـا الـنـعـماء مِنْ كلِّ مـحـسنٍ
يـصُـدُّ لمـرآهَـا الـشـجـاع كـمـا الخـالِ(٥)

(*) القصيدة جاءت معبأة بالبديع مجاراة من الشاعر للشاعر داوود البغدادي الذي مدح الأمير بقصيدة طافحة بالبديع مطلعها :

جـاءت مـبـشـرة الأحـبـاب بـالـبـشـر
حـيـت فـأحـيـت بـنـشـر مـيـت الـبـشـر

صـبـت عـلـى الـصـب أنـواع الـتـفـضل إذ
سـرت فـسـرت مـعـنى بـالـغـرام سـرِي

وهي في "أ"، ص :٣٧ ، ٣٨ و"ص"، ص : ٢٦٢، ٢٦٦ . [وقد سمّى المعلم بطرس كرامة قصيدته التي تنتهي بكلمة «الخال» باسم القصيدة الخالية، وباسم القصيدة ذات الخال «راجع: سجع الحمامة ص ٣٢٢ وص ٣٦١» ولا شك أن أصداءها كانت في أذني الأمير عبدالقادر، فأدلى بدلوه للمعارضة ولإثبات التمكن أيضاً] (م).

(١) الشامة، أو الخيلاء. وذات خلخال كناية عن قصيدة البغدادي التي مدح بها الأمير.

(٢) الخال برد يماني. وتميس : تتعطف، وتتمايل.

(٣) الخال هنا : البرق، وبابل مدينة قديمة بالعراق يضرب بها المثل لجمالها.

(٤) خالي البال، والبدائع المحجبة : المواهب المختلفة.

(٥) الخال : الجبان الرعديد وهي من الأضداد.

فـمَـا نـسجُ داوودٍ كـنـسجِ عـنـاكبٍ

ولا الـغـادةُ الـهـيـفـاءُ تـزهُـو بـخـلـخـالِ[1]

ومـا عـيـبُـهَـا إلا الـتـغـرُّب في الـوَرَى

فـلـم تـلـقَ منْ أُختٍ لـهـا لاَ ولا خـالِ[2]

أتـتْـنـي عـلـى بـعـدٍ ولم يـثنِ عـزمـهَـا

مـهَـامهُ فـيـحٌ لاَ ولاَ سـطـوةُ الخـالِ[3]

تـعـسـفتِ الـفـيـفـاءَ في غـسقِ الـدجَى

فـكمْ قـطـعتْ نـهـرًا من الخـيلِ والخـالِ[4]

أتـتـنِي ـ فـدتْـهـا الـنـفسُ ـ في حـين غـفـلـةٍ

فـقـلـتُ لـهـا: أهلاً فـذا وقـتُـنـا خـالِ[5]

وأفـرشـتُـهـا خـدِّي وقـلـتُ لـهـا : طَـئِي

فلاَ تحـسـبِي خـدِّي عـلـيك بـذِي خـالِ[6]

ولمَّـا تـطـارحـنَـا الأحـاديثَ بـيـنـنَـا

وأحـلَى تلاقِي الخلِّ بـالمـنـزلِ الخـالِ[7]

وعـنـكمْ غـدتْ تُـنْـبِي بمَـا أنتَ أهْـلهُ

وإنَّ ودادِي الـيـومَ أرْسَى منَ الخـالِ[8]

---

(١) أسورة تلبس في ساق المرأة، والبيت فيه تمثل قوله تعالى: ﴿وعلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ الأنبياء: ٢١.

(٢) أخَو الأم.

(٣) الشجاع. والمهامه : جمع المهْمَه والمهمه: المفازة البعيدة.

(٤) الفيفاء: الفلاة. الغسق: شدة ظلمة الليل .الخال: الفارس.

(٥) وقتنا خال : فارغ.

(٦) بذي خال : اختيال. والمراد أنه لا يتمنّع من ذلك بل يبادر إليه (م).

(٧) المنزل الفارغ.

(٨) أرسى من الخال : الجبل العظيم.

وأبـــثـــثـُـــهـــا وجْـــدي ومـــا بـــينَ أضـــلـــعِي

مِنَ الـبـــعـــدِ والأشـــواقِ والـــدمْع كـــالـخـــالِ[1]

وحــــدثــــتُــــهــــا عن لــــوعــــتي وتحــــرُّقِي

وقــطعِ الـلــيــالِي بــالــتــأملِ كــالـخــالي[2]

تــــكــــادُ لِــــذكْــــراهُمْ تــــذوبُ حُــــشــــاشــــتِي

ومــــــالي ســــــواهمْ مِنْ وليٍّ ولا خـــــالِ[3]

ولـــــولا الأمـــــانِي كـــــنتُ ذبتُ من الأسَى

أقـــولُ : كـــئـــيبٌ نـــال ذَلك مِنْ خـــالِ[4]

أروِّحُ نَـــفْـــسِي بـــالأمـــانِيِّ راجـــيًـــا

ســـمـــاحـــةَ دهـــرٍ ضنَّ يـــرجعُ كـــالـخـــال[5]

****

(١) والدمع كالخال : المطر أو السحابة الماطرة.

(٢) بالتأمل كالخال : الملازم للشيء لا ينفك عنه.

(٣) ولاخال : الأمير، والحشاشة : بقية الفؤاد.

(٤) من خال:من ضعيف القلب.

(٥) يرجع كالخال: الرجل السمح الكريم. وأروح: أخفف من الهموم. وضن : بخل..

(*) قال المقطوعة إجابة عن سؤال طرح في مجلس من مجالس الأمير بفرنسا وهو: "هل للحب دواء"؟.
فاختلف في شأنه، فمنهم من عده مرضاً ومنهم من عده طبيعة، وكتب الشيخ الشاذلي أبياتًا في الموضوع وبعث بها إلى الأمير، ومطلعها:

«أيـــــاأهـل فـن الـــــطـب بــــالـــــلـه خـــــبــــــروا
أيوجد للـــصب النحيل دواء؟نجنهكت سقاماً لم أجد لي شافياً
فـــــقـــــلـــــبي من غـــــيـــــر الخـــــلـــــيل هـــــواء»

فرد عليه الأمير بتج ليس للحب دواء تج.(١) في تجأ تج رجال الحب..(٢) حقّ العبارة أن تكون «أصبح نائياً» من جهة النحو. وفي «الحب النائي» هنا غرابة. والمراد - كما يمكن أن نستظهر - : الحب حين يوغل في النفس، ويتغلغل عميقاً (أو بعيداً) في القلب (م).

ليس للحب دواء(*)

[من الطويل]

سـألتُ رجالَ الطبِّ أَخْبَرَ كلُّهمْ
وهم أهلُ تجريبٍ وأهلُ ذكاءِ :(١)

بأنَّ سقيمَ الحبِّ هيهات ! مالهُ
دواءٌ إذا ماالحبُّ أصبحَ نائِي(٢)

عسَى ولعلَّ اللّه أنْ يبردَ الأسَى
فإنَّ رجاءَ الوصْلِ بعضُ دواءِ

ولوْ لمْ يكنْ للعاشقينَ تقرُّبٌ
لوقْتِ وصالٍ مابقُوا لِمسَاءِ !

وإن دامَ هجرُ الحب أو زادَ بيْنُهُ
فَذلك داءٌ لم يَزُلْ بشفاءِ

وفي مَن مضَوا في شرعةِ الحبِّ والهوَى
لهُ أسوةٌ فليصْبرنْ لِبلاءِ

****

(*) جرى حديث عن الخدود المشرطة في الطائف أيام كان الشاعر هناك في عام ١٢٨٠هـ لأداء مناسك الحج فذكر بعض الأدباء في جلسة من الجلسات أبياتًا في ذلك، ومنها:

«رأيت لها شرطاً على الخد قد حوى
جمالاً وقد زاد الملاحة بالقرط

فقلت: مرادي اللثم. قالت بخلوة
فقبلتها ألفاً على ذلك الشرط»

فاستهجن الأمير ذلك ورد بقصيدته «باللحظ»

(١) القصيدة في : "ت"، ص : ٧٠١. و "ص"، ص : ١٢١، ١٢٢ .

(٢) التخديد: الشق، وأراد الشرط، والتشريط الموصوف في البيتين المذكورين في حاشية القصيدة (م).

(٣) في "ت" : بالسود.

(٤) يختشي : أراد يخشى، وهي عامية اقتضاها الوزن.

(٥) بعد (زها) وقف تام (م).

ج - مســـاجلات

متى ينقلب نحسي(*)

[من البسيط]

أُخَيَّ ! نـلتَ الـذي قـدْ كـنتَ تـطـلـبهُ
وفـزْتَ دونِي بمَـا تـرجُـو وتـرغـبُهُ[1]
وسـاعـدتْكَ الـلـيـالي لا شـقِـيتَ فـدُمْ
قـريـرَ عـينٍ بـوصلٍ لـيس تُـسْلَـبُهُ[2]
قـد طـابَ في طـيـبـةَ الـغـرَّا مـقـامُـكمُ
جـوارَ مـحـبـوبِـنـا مَنْ كـنتَ تـرقـبُهُ
يـاهلْ تـرى ! مـثـلـمَـا فـزتُمْ أفـوزُ ؟ وهلْ
تـعـلـو سُعـودِي عـلـى نـحـسِي فـتـقلُـبهُ ؟!

****

(*) الأبيات بعث بها الأمير عبد القادر إلى كاتبه "قدور بن رويلة" بعدما أطلق سراحه من السجن وتوجه إلى المدينة المنورة.

(1) الأبيات في"أ"، ص : ١٢، و"ت" ، ص : ٤٦١ و"ص"، ص : ١١٧

(2) في "أ" لست تسليه، وكذلك في "ت".

أهلاً بالحبيب(*)

[من الكامل]

أهلاً وسهلاً بالحبيبِ القادمِ
هذا النهارُ لديَّ خيرُ مواسمِ (١)

جاء السرورُ مصاحباً لقدُومِهِ
وانْزاح مَا قدْ كانَ قبلُ مُلازِمِي

أفديكَ بالنفسِ النفيسةِ زائرًا
من غيرِ مَامنٍ ولستُ بنادِمِ

طالت مُساءلتِي الرِّكابَ تشوُّقاً
لجمالِ رؤيةِ وجهكَ المتعاظمِ

لاغروَ إن أحببْتُكمْ من قبلِ مَا
شاهدتُكمْ أنتمْ جمالُ العَالَمِ

كانتْ على سمعِي تغارُ نواظرِي
حتَّى رأيتُك أنتَ أنتَ مكالِمِي (٢)

عندِي الأيادِي البيضُ حيث أرَيْتَنِي
ما كانَ قبلاً في يقينِ العالمِ

والآن صرْتُ منَ اليقين بحقِّهِ
وبعينِهِ أنَّ السرورَ منادمِي

أ سَمِيَّ قطبِ العارفين ! لكَ العُلا
متبوئًا منه أجلَّ معالمِ

(*) عندما سمح الفرنسيون لبعض علماء المغرب العربي بزيارة الأمير في قصر أمبواز قرب باريس، زاره "محمد الشاذلي القسنطيني"، وهو قطب من أقطاب الصوفية، واستقبله الأمير بالقصيدة هذه.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ١٨، و"ت"، ص : ٥٣٣، و"ص"، ص : ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٢) في "ت" حتى رأيتك وأنت.

أنت الــذِي في الــفــضلِ أصــبحَ مــفــردًا
لِـــــعلاه مَــــا مِنْ مُــــدّعٍ ومُــــزَاحمِ
لا زلتَ مــيــمــونَ الــنــقــيــبــةِ طــالــعــاً
بــالــسـعْــد ذا فَـضْلٍ وخِــدْنَ مـكــارمِ [1]

****

(١) في "ت" النقية طالعاً والنقيبة : العاقبة. و الخدن : الصاحب. وقد رد الشاذلي على القصيدة بأبيات مطلعها :
«سلام عــلــيــكم طــال شــوقي إلــيــكم
وقــلــبي ســواكم في الــبــريــة مــا أحب».
انظرها في "ت"، ص : ٥٣٣. و"ص"، ص : ٢٨٨، و"ح"، ص : ٨٦، وفي "أ" ، ص : ١٨

لا يأبى الكرامة إلا(*)

[من الطويل]

نـــعمْ ولـــكُمْ فـــضلٌ بـــأشـــرفِ دعـــوةٍ
غـدوتُ بـهـا ـ يـا صـاحِ ـ مـنشـرحَ الـصدرِ (١)
وقــد قــيلَ : لا يــأبى الــكرامــةَ غــيــر منْ
لـه عـرقُ لـؤمٍ لم يـزل في الخـنَـا يـسـرِي (٢)
لمجـلـسِـكمْ أعـلـى الـكـرامـةِ عـنـدنـا
ولـــفـــظـــكُم أشـــهَى إلـــيـــنـــا من الـــدرِّ
ورؤيـــتُـــكم أجـــلـى لـــهـــمِّي وإنـــنِي
غـنـيتُ بـهـا عن طـلـعـةِ الـشـمسِ والـبـدرِ
عـــلـــيكَ تحـــيـــاتُ الـــقـــبـــولِ تـــكـــرُّمـــاً
أيـا واحـدًا ـ عـنـدِي يـعـدُّ ـ بـذا الـعـصـرِ

****

(*) دعا الشاذلي الأمير إلى سمر ودبج الدعوة شعراً، انظرها في "ت"، ص : ٥٣٣، ٥٣٤، و"ص" ، ص : ١٦٢ فأجابه الأمير بالقبول مع الشكر بالمقطوعة.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ١٩، و"ت"، ص : ٥٣٤ و"ص"، ص : ١٦٢

(٢) في البيت معنى القول المأثور : "لايأبى الكرامة إلا اللئيم"، والخنا: الفحش والفساد.

نعمة الشفاء(*)

[من الطويل]

خـلـيـلـيَ ! قل : لِي كـيف أمـسـيتَ ؟! إنـني
تحـمـلتُ حـزنـاً مـنكَ يـعـيَـا له رَضْـوى (1)
لــقــد مــرضتْ أرواحُــنــا وجــســومُــنــا
لـشـكـواكمُ يـا لـيتَ لا كـانتِ الـشـكـوى
فلا تــــبغِ إتلافـي فــــمـــا لـيَ طـــاقـــةٌ
على الـصـبـر - يـا روحـي - ولستُ له أقوى (2)
وإنِّي لأرجُــو نــعــمــةَ الــلّه بــالـشِّــفـا
عـلـيكَ لـتـحـظَى بـالـسـرورِ كمـا تـهـوى (3)

****

(*) الأبيات قالها الشاعر عندما عاد صديقه محمد الشاذلي في مرضه ، فلم يجده في بيته، وتركها له في المنزل.

(1) الأبيات في "أ"، ص :19 ،20، و : "ص" ، ص : 109 [و «رضوى» اسم جبل مشهور يُضرب به المثل] (م).

(2) في "أ" ولست لها.

(3) في "أ" ينعم بالشفا. وقد رد الشاذلي على الأبيات بأخرى أولها:

«بـــخـــيـــر لـــقـــد أمـــســـيت والـــقـــلب شـــيق
لـــلـــقـــيـــاكم شـــوق المحب لمن يـــهـــوى».

انظرها في المراجع المتقدمة.

ياقرة العين(*)

[من البسيط]

يــا قــرةَ الــعــينِ ! قل لي : كــيف بتَّ ؟! فــقــدْ
ـ والــلّهِ ـ بتُّ وقــلــبي في لــظَى الحَــزَنِ (١)

ممَّــا عــراكمْ عـــسىَ فـــيه أقَـــاسِـــمــكمْ
أو حـــمْــلُهُ كــلهُ لــو كــان يُـــمــكِــنُــني

حـــتَّى يـــتمَّ لـــنـــا من وصـــلــكْم غــرَضٌ
قـــدْ طـــالمَـــا كـــنتُ راجـــيـهِ منَ الـــزمنِ (٢)

****

(*) أبيات بعثها الأمير إلى الشاذلي صديقه يسأله فيها عن صحته..

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٠، و "ت"، ص : ٥٣٤ و"ص" ، ص : ٣٠٢ .

(٢) في "أ" راجية من الزمن. وفي "ت" قد كنت آمله من سالف الزمن..

الشوق يكتمه الأريب[*]

[من الوافر]

بُـــنَيَّ! لـــئنْ دعـــاكَ الـــشـــوقُ يـــومـــاً
وحـــنّتْ لـــلّـــقـــا مـــنّـــا الـــقـــلـــوبُ [1]

ورمتَ بـــأنْ تـــنـــال مـــنًى و وصلاً
يـــصحُّ بُـــعَـــيـــدَهُ الـــقـــلـــبُ الـــكـــئـــيبُ [2]

فـــإني مـــنكَ أولى بـــاشـــتـــيـــاقٍ
ونـــاري في الـــفـــؤادِ لـــهـــا لـــهـــيبُ

وإن أخـــفِي اشـــتـــيـــاقِي في فـــؤادِي
فـــإنَّ الـــشـــوقَ يـــكـــتُـــمُهُ الأريبُ

****

(*) مع غياب الشاعر الطويل لانشغاله بالجهاد، راسله ابنه باسم الأسرة متشوقاً إليه فرد على ابنه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في"أ"، ص : ١٢، و: "ت" ٤٦٠، و "ص" ص : ١١٨، و "ن"، ص : ٤٨ .

(٢) في "ت" سنا ووصلا.

لا تعجل بلومك(*)

[من الطويل]

فــدَيْــنــاكَ لا تَــعْــجلْ بــلــومكَ و انــتــظـرْ
و حــــقِّك إن الـــعَـــتْبَ لـــلـــقَــلْبِ أوجَعُ [1]
لـــعلَّ لـــنـــا عُـــذرًا يـــدافعُ عـــتـــبـــنَـــا
وصــــدرُكَ في تـــلــك المـــعـــاذيـــرِ أوسعُ
وإنَّ منَ الأعـــــذارِ مـــــا لـــــيس ذكـــــرهُ
يـــلـــيقُ ومـــنه مُـــهـــجـــتِي تَـــتَــقَــطَّعُ
ولـــستَ غـــريـــبـــاً بـــين قـــوْم أحـــبـــةٍ
مــكـــانُكَ فـــيـــهم من بـــنِي الـــدهـــر أرفعُ
فـــــــكمْ مـن حـــــــزيـنٍ مـن بـلائـك وَالـهٍ
يـبـيـتُ عـلـى فـرْشِ الـضـنَـا يـتـوجَّعُ
وجـمْـعِي بـكم يـبـقـون جـمعَ سلامـةٍ
بـدارٍ بـهـا مـا لـلـتـفـرُّقِ مـنـزَعُ [2]
وجـــئت بـ "لـــولاَ" فـــاعلاً لجـــوابـــهَـــا
عـلـى أنَّـهـا في الـنـحـوِ قـد قـيل تُـمـنعُ
وإن كـنتَ لـسَّـاعـاً فـكنْ خـيـر حـيَّـةٍ
وكنْ نـحـلـةً تـريـاقُـهـا الـسمّ يـدفعُ [3]

****

(*) رد بها على عتاب صديقه الشاذلي الذي مرض ولم يزره، و الذي كشف عنه في أبيات بدايتها:
تج مرضت غريباً بين قوم أعزةفكلهم عن زورتي مُتمنِّعُ تج .وهي في
المصادر نفسها التي فيها أبيات الأمير.

(١) القصيدة في : "أ"، ص : ٢١، و "ت"، ص : ٥٢٥، و"ص" ، ص : ٢٣٠، ٢٣١ و في "أ"، و"ت" واصطبر.

(٢) وجمعي : قصد جميع إخوانه.

(٣) في "أ" غير حية.

لا ندم ولا ملامة(*)

[من الطويل]

خـلـيـلـيَ ! لا تـنـدمْ عـلـى الـعـتـبِ لـلـحبّ
فـإنَّ خـفـيفَ الحبِّ أنـفعُ بـالـطبِّ (١)
فـمَـا ذاكَ مـكـروهٌ ولا بمـحـرَّمٍ
بـشَـرْعِ الـهـوى بل ذاك فـرضٌ عـلـى الـصبِّ
سـبـيلُ الـهـوى : هـجـرٌ ووصلٌ و فـرقـةٌ
وجـمعٌ وخُـلْفٌ بـالـزيـارة والـعـتبِ
وهـذي دواعٍ لـلـعـتـاب كـثـيـرةٌ
لـذَا كـانَ طـولُ الـعـتب ألـزمَ لـلـحبِ
وقـد قـيل : يـبـقى الـودُّ مـا الـعـتبُ بـاقـيـاً
فـلـلّه مـا أحـلَى مـقـالَ ذوي الـلبِّ (٢)
"إذا لـم يـكـنْ في الحبِّ سـخطٌ ولا رضَى
فـأينَ حلاواتُ الـرسـائلِ والـكـتْبِ" ؟!(٣)
وأطـيبُ أيـام الـهـوى يـومك الـذي
تـرَوَّعُ بـالـتـعْـنـيفِ فـيـهِ وبـالـسـبِّ

(*) أثر رد الأمير على عتاب الشاذلي، فرد عليه الشاذلي نادماً في أبيات أولها :

"سلام يـفـوق المسك و الـنـدّ عَـرْفه ... يـعم حـمـى قـوم كـرام المحـافـل"

إلى أن يقول :

"نـدمت عـلـى مـا كـان مـني ونـادم ... عـقـيب وقـوع الـفـعل لـيس بـفـاعل"

فلما قرأ الأمير ندم الشاذلي خفف رده على ندم الشاعر بالقصيدة "لا ندم ولا ملامة".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٢، و"ت"، ص : ٥٣٦ و"ص"، ص : ١١٥ وفي "ت" خفيف العتب.

(٢) لي "أ" و"ت" ما العتب قد بقي، [وفي البيت إشارة إلى قول الشاعر (اللسان ع ت ب):

إذا ذهب الـعـتـاب فـلـيس ودّ ... ويـبـقى الـود مـا بَـقي الـعـتـابُ

ويقول الأمير عبدالقادر «ما العتب باقياً» فمن جهة النحو «ما» هذه تعمل عمل ليس وتفيد النفي وتسمّى الحجازية. ومراد الشاعر «ما» المصدرية الظرفية. فهو يقول: إن الود يبقى ما دام هناك عتاب] (م).

(٣) البيت مضمّن (م).

يا كثير البعد(*)

[من مجزوء الرمل]

يـــــا مــــــلُـــــــولاً لا يُــــــمَلُّ
كـــيفَ كـــان الـــيـــوم حـــالُكْ (١)

يـــا كـــثـــيــرَ الـــبـــعْـــدِ عـــنّـــا
كـــان كـــالـــغـــدْر ارتحـــالُكْ

كـــــــنْـتَ مِـن ذا فـي أمـــــــانٍ
فـــبـــدا الـــيـــومَ مـــحـــالُكْ (٢)

****

(*) تحسنت صحة الشاذلي فغادر المستشفى دون علم الأمير، فلما عاده ولم يجده بعث إليه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٢، و"ت"، ص : ٥٣٦، ولم تثبت عند صيام. وفي "ت" لا يمل، وأثبتنا ما فيه.

(٢) وقد رد الشاذلي على الأبيات بأخرى عن الأمير، وهي مثبتة في المصادر المتقدمة، [ومحال مصدر ماحله أي كايده وعاداه] (م).

ترك العادة ذنب(*)

[من الطويل]

سلامٌ عــــلـــــيـــــكمْ دائمٌ مـــــتــــــتـــــابعُ
له نـفـحــة من دونـــهَـــا المـسكُ والـعـطـرُ[1]
وبـــعـــدُ لـــعُـــذرٍ قـــد قـــطـــعْـــنـــا عـــوائـــدًا
تـــعـــوَّدْتَـــهـــا يـــاأيـــهـــا المـــاجـــدُ الحـــرُّ !
وإلاَّ فــإثـــبـــاتُ الــرغـــائبِ شـــرعُـــنـــا
نـــرى تـــركَـــهـــا ذنـــبًـــا له يُـــطـــلـــبُ الـــغـــفـــرُ
ولـــو أنـــني قـــاســـمـــتُـــكمْ كلَّ مـــالـــنَـــا
كـــمـــا قـــالَه الأنـــصـــارُ والـــفـــاضِلُ الحَـــبـــرُ[2]
لمـــا جـــئـــتُ في مـــعـــشـــارِ عـــشْـــرِ حـــقـــوقـــكمْ
ولـــو كـــانَ ذا شـــيـــئـــاً يـــؤدَّى به شـــكـــرُ

****

(*) اعتاد الأمير دعوة أصحابه إلى طعام حتى عوّدهم ذلك، ثم تخلى عن تلك الدعوة فعاتبه الشاذلي في ذلك، الأبيات تبدأ بقوله:

«فرضتم عليكم للمتيم سنة تؤدونها بعد الفراغ من الفجر»

فرد عليه الأمير بأبياته المعنونة بـ «ترك العادة ذنب».

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٣، و"ت"، ص : ٥٣٧ ،"ص"، ص : ١٧١ .

(٢) الأنصار : أراد موقف الأنصار من المهاجرين في المدينة المنورة.

الجوع بَرَاني(*)

[من الطويل]

أمـــا آن لـــلـــخلِّ المـــريض بـــأنْ يـــبـــرَا ؟!
فـإنَّ صـحـيحَ الجـسمِ مـنـه شـكـا الـضـرَّا[1]

تـــوالتْ عـــلـــيه جـــوعـــةٌ بـــعـــد جـــوعـــةٍ
أخـوكمْ لـهـا قـد صـارَ كـالـقـلمِ الـمُـبـرَا[2]

بـهِ وكّل الجـــوعُ المـــعـــطلُ لـــلـــقُـــوى
فـلـلَّهِ مـا أنـكـاهُ فـيـنَـا ومـا أجْـرَا ![3]

إذَا نمتُ أمـــسى لِي ضـــجـــيـــعـــاً ملازمـــاً
وإن قـمتُ أضـحَى كـالـغـريمِ بـنـا مُـغـرَى

وقـــدْ عـــشتُ أيـــامـــاً بـــظلِّ جـــنـــابـــكمْ
فـــلـــلَّهِ عـــيشٌ مـــا ألـــذَّ ومـــا أمْـــرَا !

إلَى أنْ دهـــانَـــا الـــدهـــرُ يـــومـــاً بـــجـــدِّهِ
بـــعـــاداتِ بَـــيْن مـــا أحـــدَّ ومـــا أفـرَى ![4]

(*) التزم الشاذلي بالحمية طلباً للشفاء من مرضه فتضامن معه الأمير تخفيفاً عنه، ولما طال الأمر، اشتكى الأمير ذلك إلى صديقه الشاذلي داعياً له بالشفاء العاجل حتى يحرر من الحمية التي أتعبته، [وعبّر الأمير عن ذلك تعبيراً لطيفاً نثراً ونظماً في تحفة الزائر: ٥٣٧] (م).

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٣، ٢٤ و"ت"، ص : ٥٣٧، و"ص"، ص : ١٦٦، ١٦٧

(٢) يريد: كالقلم المبريّ؛ والفعل منه: برى – يبري.

(٣) في "ت" المضعف للقوى و: أنكاه : ما أشده [ما أجرا، مسهلة الهمزة وأصلها: ما أجرأ. ثم حذف الهاء: ما أجرأه] (م).

(٤) في "ت" بحده، وأفرى، : قطع. وقد رد الشاذلي على قصيدة الأمير بأبيات هذا مطلعها :

«خليلي لا تجزع من الجوع إنه   إلى كل معتل هو الغاية الكبرى»

وهي مثبتة في مصادره المعتمدة هنا.

فــفــرَّقَــنَــا جــمــعًــا وكــدَّر صــفــونَــا

وجــوَّعــنــا جــوعــاً فَــقَــدْنــا له الــصَّــبْــرَا

فــإن شــئتَ فــلــتــبــرَا لــعــلَّكَ مُــدركِي

وإلاَّ فــإن الجــوعَ قــد هــيــأ الــقــبْــرَا

بــهــذَا أشــارَ الــنــاصــحــونَ لــعــلــكمْ

تَــرِقُّــونَ أو تــأتِي لــنــا مــنــكمُ الــبــشْــرى

****

زكاة العلم(*)

[من البسيط]

أتتْ مهنئةً فليهنَ مهديها
جلَّتْ تراكيبُهَا دَقَّتْ معانيهَا[1]

تدلُّ بالحسنِ والإدلالُ حُقَّ لها
فما حوتْ مثلهَا يوماً مغانيهَا[2]

ودبَّ في الجسمِ من أنفاسها طَربٌ
دبيبَ حبِّي لهذا الخير مُنشِيهَا[3]

لِيَهْنِنَا بكَ عيدٌ أنتَ شاهدهُ
عيدُ النفوس إذا نالتْ أمانيهَا

يا يوسفُ رُدَّ لي من قربكمْ نظرًا
كردّهِ بقميصٍ أنتَ مهديهَا[4]

لينشرحْ صدرُك المملوءُ من حِكمٍ
وطيِّبِ النفسَ: شَهِّيهَا ومنِّيهَا

(*) نظم الأمير قصيدة "زكاة العلم" إجابة لـ "يوسف بدر الدين المغربي"، الذي نظم قصيدة شكر فيها الأمير على شرائه دار أوقاف كان قد استوطنها "يوسف"، واغتصبها منه رومي ادعى أنه مالكها، فاشتراها الأمير، ووقفها من جديد، وسلمها للمغربي يوسف، ومطلع قصيدة يوسف:

«بك المسرة قد نالت أمانيها
يا نعمة ما لها شيء يدانيها
إن كان عيداً لها تهنا بموسمه
فالعيد كونك يا أقصى أمانيها»

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٨، و"ت"، ص : ٦١٦، ٦١٧ و"ص"، ص : ٣١٥، ٣١٦

(٢) المغاني جمع المغنى وهو المنزل والدار. يقول: هي قصيدة لا نظير لها حُسناً (م).

(٣) في "أ"، لهذا الخير.

فـــــــأنـتَ بـــــــين أخـلاّءٍ لـــــــــهـمْ أربٌ
تـبـقَى وإن مـاتَ قـاصِيـهـا ودانـيـهَـا[1]

ولـــتـعْـطِـنـا من زكـاةِ الـعـلـمِ واجـبـةً
أنتَ المـشـيِّـد دارَ الـعـلـمِ بـانـيـهَـا

أبـقـاكَ ربُّ الـعلا في نـشـر حـكـمـتِـهـا
رغـمًـا لأنفِ مـعـاديـهـا وشـانـيـهَـا[2]

****

(١) أرب : غاية ومطلب.

(٢) في "ت" لنشر حكمته.

أنا مخلص للود شاكر(*)

[من الكامل]

أحــــلَى المـــديحِ مـــديحُ خلٍّ فـــاخـــرِ
أقـــوالهُ تـــنـــبِي كـــدرٍّ بـــاهـــرِ :(١)
عـــمَّـــا أجنَّ من الـــودادِ جـــنـــانُهُ
ألـــفـــاظهُ تـــتْـــرَى كـشَـــهـــدٍ قـــاطـــرِ(٢)
تـــكـــسُـــو الملاحـــةُ والـــطلاوةُ وجـــهـــهَـــا
فـــالـــودُّ من أرجـــائـــهـــا كـــالـــعـــاطـــرِ
يـــا صـــاحِ ! خـــاتـــمـــة الأفـــاضلِ كُـــلِّـــهمْ
من كلِّ شـــهـــمٍ كـــاتـــبٍ أو شـــاعـــرِ
عـــنـــدِي لـــكمْ بـــينَ الـــضـــلـــوعِ مـــودةٌ
مـــحـــفـــوظـــةٌ ومـــصـــونـــةٌ لـــلـــغـــابـــرِ
كنْ كـــيف شـــئتَ فـــأنتَ أنتَ أمـــيـــنُـــهـــا
مـــا بـــيَن بـــادي عُـــرْبـــهـــا والحـــاضـــرِ
الـــدُّرُّ إلا مـــا أتـــانَـــا مـــنـــكُمُ
أنـــا مـــخـــلـــصٌ لـــلـــود، أولُ شـــاكـــرِ

✱✱✱✱

(*) للشيخ أمين الجندي ، مفتي الشام، قصيدة في مدح الأمير، وصدرها:

«أمولاي يا من غدا مفـــرداً بمجد له الله قدرا أهّلــه
ويا سيد الناس في عصـره وأوفى كريم لمـن أمّلـــه»

فلما اطلع عليها الأمير رد عليه بمقطوعة «أنا مخلص للود شاكر» [وفي «تحفة الزائر» ٢: ٦١٨-٦١٩ أن هذه المقطوعة رد على قصيدة الشيخ أمين الجندي التي مطلعها:

دار الأمير الشهم عبدالقادر كهف الدخيل وملجأ للحائر] (م).

(١) المقطوعة في "أ"، ص : ٣٩، و"ص"، ص : ٢٠٥، ٢٠٦ وفي "ت"أقواله تزري بدر، [ورواية تحفة الزائر أعلى وأحسن] (م).

(٢) أجن : أخفى. وتترى : متتالية.

أنفاس أحبابي تحييني

[من البسيط]

بـديـعـةُ الحـسنِ بـالأضـحَى تـهـنـيـنِي
تــزهُــو بــحــسنٍ عَلاَ من غــيــر تــزيــينِ[1]
تــمـيسُ كـالــغـصن إذ مـرَّ الـشـمــالُ بهِ
أو شــــاربٍ ثَــــملٍ منْ خـــمـــرِ دارينِ[2]
تـــراه نـــشـــوانَ إذ دبَّ الـــشـــمـــولُ بهِ
يمـــيلُ من طـــربٍ مـــيلَ الـــريـــاحـــينِ
هـيـفـاءُ يـبـدو لـنَـا منْ وجـهـهـا قـمـرُ
من سُـحْب فـاحـمِـهـا بـانتْ بـتـلـوينِ
تـرمِي بـألحـاظـهـا عن قـوسِ حـاجـبـهـا
تـصـيـبنِي ثمَّ تـسـبـيـني وتـكـويـنِي[3]
وقـد بـدتْ لي طـلـوعَ الـشـمسِ مـسـفِرةً
فـطـالَ تـردادُ عـيـني بـين شـمْـسـينِ[4]

(*) امتدح "مصطفى شلبي البغدادي" الأمير في عيد الأضحى لما بينهما من صداقة ومحبة، فرد الأمير على البغدادي بقصيدته "أنفاس أحبابي تحييني".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٩، ٤٠ و"ت" و"ص"، ص : ٣٠٣، ٣٠٥ ومعنى البيت يشير إلى قصيدة الشاذلي المهنئة بالعيد.

(٢) في "أ" درايتي، والشمالية : الريح القادمة من الشمال، ودارين : قرية في البحرين يجلب إليها المسك من الهند وكان يباع فيها الخمر.

(٣) في "أ"، و"ت" تسبيني وتلويني. وقد شبه اللحظ بالسهم والحاجب بالقوس والنظرة اللاحقة بانطلاقة السهم عن قوسيه تصيبه فتجرحه وتكويه.

(٤) قارن بين الشمس الحقيقية وحبيبته المشرقة، فاحتار بينهما تأملاً وإعجابًا، [في هذا البيت والبيت الثالث عشر عيب في القافية وهو اختلاف حركة ما قبل الياء أو الواو وهو: سناد الحذ] (م).

ولــستُ أدري أســكــرِي من نــوافــجِــهــا
أم تــلـكَ أنـفـاسُ أحـبـابِي تحـيـيـنِي ؟![1]
أحـــبَّـــتي ! لــكُمُ صــفــو الــوداد كــمَــا
مــحــضــتــمــونِيَ ودًا لــيس بــالــدونِ[2]
لاَ زلــتمُ مَــنْــهَلاً تحــيَــا الــعــطــاشُ بهِ
ومــنــزلاً لــعــفــاةِ الخــلــق في الحــينِ[3]
أحـــيَـــا إلـــهي أحـــبـــائِي وزادَ لـــهمْ
فــضلاً وأنــزلــهمْ أعــلَى الــعــلــيِّــينِ
واحــفظْ إلــهِيَ مــا أولــيــتــهمْ كــرمــاً
وقــرَّ أعــيــنــهمْ : دنــيَــا مع الــدينِ
ودافعِ الـــســـوء عــنــهمْ يــا إلــهي ! ولاَ
تجـعلْ سـبـيلاً عـلـيـهمْ لـلـمُـعـادينِ[4]
واجــعلْ ســرورهمُ صــفــوًا بلا كــدرٍ
واجــعلْ زمــانــهمُ أيــام عــيــدَيْنِ
واســتــرهُمُ بــرداء الحــفظ يــا أمــلِي !
بــحــرمــة الــسـرِّ : بــينَ الـكـاف والـنـونِ[5]
بــجــاهِ خــيــرِ الــورى والــتــابــعــين لهُ
آمــينَ ! آمــينَ ! يــا ذا الــفــضلِ لــبــيّــنِي

****

(١) في "أ"، من نوافجها، والنوافج أوعية تستعمل لحفظ المسك والعنبر.
(٢) في "أ" كما أمحصتموني بود.
(٣) العفاة : من الناس من يطلبون العطاء من غيرهم، في "ت" وزد لهم.
(٤) في "أ"، و"ت" وادفع السوء وهو ما لا يستقيم معه الوزن، ،وكسرت نون «للمعادين» لتناسب القافية.
(٥) في البيت معنى الآية : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فيكونُ﴾ يس ٨٢ .

رباط الود مشتد[*]

[من الطويل]

أمَـــا والـــذِي تـــعـــنُـــو لـــهـــيـــبـــتـــهِ الـــورَى
وجلَّ اعـــــتـــــزازًا أن يـــــكـــــون لـهُ نـــــدُّ[1]

لأنـــتـمْ وإن شطَّ المـــزارُ بـــشـــخـــصـــكـمْ
أودُّ من الـــــقـــــربَـى وأدنَـى إذا عُـــــدُّوا

فـــكمْ من بـــعـــيـــدِ الـــدارِ نـــالَ مـــرادَهُ
وكـمْ من قـــريـبِ الـــدارِ مـــا نـــالَهُ ودُّ

ألا فـــلـــتـــطبْ نـــفـــســـاً بـــطـــيبِ ودادِنـــا
فـــإنَّ ربـــاطَ الـــود تـــالـــلّـه مـــشـــتـــدُّ

****

(*) رد بالأبيات على ابن عمه "الطيب بن المختار" الذي مدحه بقصيدة مطلعها :

«أكـل خـــــلـــــيـل لا يـــــدوم لـه عـــــهـــــد
أم انـــفـــردت في حل مـــا عـــقـــدت هـــنـــد»؟

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٤١، و"ص"، ص : ١٥١

يراع ينفث سحراً(*)

[من الطويل]

أتـــانِي كـــتـــابٌ لا يُـــملُّ ســـمـــاعُهُ
كـتـابٌ كـوشْيِ الـروضِ تـزهـو بـقـاعُهُ(١)

يـــزيـــدُ عـــلى الـــتـرداد طـــيـبـاً ولـــذةً
يـــعـــزُّ عـــلـــيـــنَـــا طـــرحُهُ ووداعُهُ

يـــدبُّ دبـــيبَ الخـــمـــر في جـــسم ســـامعٍ
فـــيـــطـــربُـــنـــا إســـمَـــاعُه وســـمـــاعهُ(٢)

كـــتـــابٌ أتـــانـي حـــافظَ الـــود وافـــيـــاً
وإنّ الـــوفـــا أضـــحتْ يـــبـــابًـــا ربَـــاعُهُ(٣)

كـتـابُ أبـي الـنـصـرِ الـذي فـاقَ مـنـطـقـاً
ويـنـفـثُ سـحـرًا بـابـلـيّـاً يـراعُهُ(٤)

فلا زالَ في أوجِ الـــكـــمـــالِ مـــخـــيِّـــمـــاً
يـــضـيءُ عـــلـــيـــنَـــا نـــورُه وشـــعـــاعُهُ

ولا زالَ من يـــحـــمِي الـــذمـــارَ بـــعـــزّةٍ
ولـــو جـــمـــعُـــوا مـــا يـــســـتـــطـــاعُ دفـــاعُه(٥)

(*) بعث بالقصيدة إلى الشيخ "أبي النصر الطرابلسي" رداً على قصيدة مدحه له، وأولها :

«هـــيـــفـــاء قـــد نـــضـــجت بمـــسك عـــاطـــر
كـــيـــمـــا تـــقـــبل ذيل عـــبـــد الـــقـــادر
من آل بـــيت قـــد غـــدوا ســـفن الـــنـــجـــا
لمن الـــتـــجـــا من لج بـــحـــر زاخـــر»

(١) القصيدة في "أ"، ص ٤١، ٤٢ و"ت" و"ص"، ص : ٢٢٧، ٢٢٩

(٢) يعني أن الموسيقى غنية، والإيقاعات مطربة.

(٣) اليباب : الخراب والقفر [والرباع جمع الربع: الدار] (م).

(٤) بابلياً : نسبة إلى مدينة بابل بالعراق.

(٥) في "أ" و"ت" حامي الذمار.

ولا زالَ مـــحـــجـــوجَ الأفـــاضل كـــعـــبـــةً
ومـمـــــدوحـــــةً أفـــعـــــالُه وطـــبـــــاعُهُ[1]
ولا زالَ ســـــيـــــارًا إلـى الـــــلّـه داعــــيــــاً
بـــــعـــــلْمٍ وحـــــلْمٍ مـــــا يُـــــضمُّ شـــــراعُهُ
ولا زالَ لـــــلْـــــعـــــلـــــيَـــــاء أرفعَ رايـــــةٍ
وبـــــشـــــراهُ مـــــبـــــذولٌ لـــــنَـــــا ومـــــتـــــاعُهُ
فـــــأبـــــقـــــاهُ من رقّـــــاهُ عـــــينَ زمـــــانـــه
وحـــــامِلَ كُلِّ الـــــكَلِّ مـــــنـــــا وســـــاعُهُ[2]

****

(١) محجوج : يحج إليه لفضله.

(٢) رقاه : هنا أعلى مكانته.

لن يبرأ[*]

[من الكامل]

أقــولُ عــلـى صــدقٍ لأهل الــنُّــهَى طُــرًّا
ولــستُ بمـسـتـثنٍ لـئـيـمًـا ولا حُـرًّا :[1]
ألا خــبِّــرونِي ! أين ضــلَّت عــقــولُـكمْ
وكـلُّـكمُ يـسـتـهـجنُ الـشـرَّ والـضـرَّا
ويــغــفلُ عــنهُ وهُــو مــنــتــبهٌ لهُ
ويــطــلبُ هــذا الــشــرَّ أعــظِمْ به شــرًّا
وحــيــنــئــذٍ يــقلاَهُ كلُّ مــصــاحبٍ
ومنْ مسَّ هـذا الـضـرُّ هـيـهاتَ أن يـبـرا[2]

****

(*) الأبيات لغز بها الأمير في الشيب والكبر وكان لها صدى في عصره فعارضها بعض الشعراء آنذاك.

(١) الأبيات في "أ"، ص ٥١ و"ص"، ص : ١٦٠، ١٦١

(٢) في "أ" يقلوه، وكل مواده. ويقلاه : يجفوه، ويبغضه.

د. منـــاسبات

طال ليلي، يا أحبائي(*)

[من الكامل]

يــا ســوادَ الــعــين يــا روحَ الجــســدْ
يــا ربــيــعَ الــقــلب ! يــا نِــعم الــسّــنَــدْ !(1)

كــنــتَ لِي قــرةَ عــينٍ وبــهــا
هــامَ قــلــبي لا بمــالٍ وولــدْ(2)

فــرمَى الــدهــرُ بــعــيــني أســهــماً
مــذْ نــأيــتُمْ لا أرى فــيــهــا أحــدْ

أيــروقُ الــطــرفَ شيءٌ بــعــدكمْ ؟!
لا وربِّ الــبــيــتِ في هــزْلٍ وجــدْ

مــذْ تــرحــلــتمْ أذبــتمْ مــهــجــتي
ودمــوعِي فــائــضــاتٌ من كــمــدْ

فــنيَ الــصــبــرُ ولم يــفنَ الجــوى
مــا أراه فــانــيــاً حــتَّى الأبــدْ(3)

وذوَى مــا كــان رطــبــاً يــانــعــاً
ووهَى الــعــظمُ ولم يــبقَ الجــلــدْ(4)

مــذْ تــواريــتمْ تــوارَى فــرحِي
مــا يــســرُّ الــقــلبَ في أخــذٍ وردْ

(*) بعد الآثار الناجمة عن ضراوة المعارك مع العدو الفرنسي، اضطر مجاهدون من جيش الأمير إلى الفرار، فتوجه بعضهم إلى المغرب الأقصى ومنهم إخوانه : "سعيد" و"مصطفى" و"حسين" وإليهم بعث القصيدة سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٦، ٧ و"ت"، ص : ٤٢٢، ٤٢٣ و"ص"، ص : ١٤٩، ١٥١ ،"ن"، ص : ٤٩، ٥٠

(٢) في "ت" لاح قلبي.

(٣) في "أ"، و"ت" قد فنى صبري.

(٤) في "أ"، و"ت" وانزوى ما كان.

فــحـــيــاتِي بــعــدكمْ مــذُ غــبــتمُ
من مــجــازٍ مــرسلٍ عــنــدي يُــعَــدْ
طــال لــيــلي يــا أحــبّــايَ ! ولا
يــعــلمُ الحــالَ سـوى الــفـردِ الــصـمـدْ[1]
كم أنــادي حــين يــبــدو صــبــحُهُ
يــا ســعــيــدُ ؟! هل خــيــالٌ لي يُــرَدّْ ؟!
فــتــرُد الــروحُ لــلــجــسمِ ويَــا
مــصــطــفَى ! هل من دواءٍ لــلــكــمــدْ ؟!
شــاقــني حبٌّ حــســينِ شــاقــنِي
مــا لحــكمِ الــلّه في الــقــلبِ مــردْ[2]
هل يــجــودُ الــدهــرُ من بــعــد الــنــوى
بــاقــتــرابٍ ؟! يُــحيِ مــيــتًــا لم يــعــدْ
فــإذا لي تمَّ مــا أمَّــلْــتُهُ
عــاد إنــســاني وروحِي لــلــجــســدْ
يــا ذوي الــقــربى ! قــريــبــاً من أبٍ
أنــتمُ ذخــري وكــنــزِي والــســنــدْ
ليَ كــونُــوا مــثــلــمَــا كــان الأُوْلَى
ســلــفُــوا لي أهلَ ســعــيٍ لا يــردْ
فــإذا مــا أقــبــلتْ فــلــتــبــذُلــوا
وإذا مَــا أدبــرتْ فــارْضُــوْا بــودْ
وعــلــيــكمْ من سلامٍ صــيــبٍ
طــيِّب يــتــرَى إلى غــيــرِ أمــدْ[3]
يــشــملُ الأحــبــابَ أنَّى قــد ثــووا
كل حبٍّ لي هــو الــصــنْــوُ الأودْ[4]

****

---

(١) في "ت" يا أحبائي.

(٢) في "أ" و"ت" في الخلق مرد

(٣) صيب : ثابت، دائم، ويترى: يتوالى، يتتابع. [واستعمال «يترى» هكذا لم يصحّ] (م).

(٤) ثووا : ثبتوا واستقروا. والصنو يطلق على الأخ الشقيق.

تحصنتُ لا خوفاً من الموت(*)

[من الكامل]

الـــــلّه أعـــــلـمُ أنَّ هـــــذا لـم يـــــكنْ
مـــنِّي عـــلـى الأمـــدِ الـــطـــويلِ دلـــيلا(1)
كلا وإنَّ مَـــــنـــــيَّـــــتي لـــــقـــــريـــــبـــــةٌ
مـــنِّي وأُصـــبحُ في الـــتـــرابِ جـــديلا(2)
ورضَـــا الإله هـــو المـــنَى ويـــكـــونُ مِن
بـــعـــدي انـــتـــفـــاعُ الخـــلقِ ثَمَّ طـــويلا(3)

****

(*) قرر الأمير تشييد حصن تازه، فأنجز في أمد قصير، وفيه نظم الأبيات.

(1) الأبيات في "أ"، ص : ٦، و"ت" ص : ٣١٣، و"ص"، ص : ٢٨٤، وفي "ت" على الأمل.

(2) الجديل : القتيل المضرج بدمائه.

(3) في "ت" ليكون وثم : هناك.

الباذلون نفوسهم(*)

[من الكامل]

يـا أيـهَـا الـريح الجـنـوبُ ! تحـمّـلِي
مـنـي تحـيـةَ مـغـرمٍ وتجـمَّـلِي[1]
واقْـرِ الـسلامَ أُهَـيْلَ وِدّي وانـثـرِي
من طـيبِ مـا حـمّـلتِ ريحَ قـرنـفلِ
خـلِّي خـيـامَ بـني الـكـرامِ وخـبّـري
أنّـي أبِـيتُ بـحـرقـةٍ وتـبـلـبُلِ[2]
جَـفْـنيَّ قـد ألـفَـا الـسـهـادَ لـبـيـنكمْ
فـلـذَا غـدَا طـيبُ المـنـامِ بمـعـزلِ[3]
كم لـيـلـةٍ قـد بـتُّـهـا مـتـحـسـرًا
كـمـبـيتِ أرمـدَ في شـقًـا وتـمـلْـملِ
سـهـران ذو حـزنٍ تـطـاول لـيـلهُ
فـمـتَى أرى لـيـلي بـوصـلِي يـنـجـلِي ؟!
مـاذا يـضـرُّ أحـبَّـتي لـو أرسـلُـوا
طـيفَ المـنـامِ يـزورني بـتـمـثُّلِ ؟
كلُّ الـذي ألـقـاهُ في جـنبِ الـهـوَى
سـهلٌ سـوى بَـيْنِ الحـبـيبِ الأفـضلِ

(*) أشاع الفرنسيون أن الأمير عبد القادر قد قتل ليفزعوا جيوشه في جبال "جرجرة" الواقعة في شمال الجزائر، ولما علم بذلك بعث بالقصيدة إلى جيوشه غير آبه بتلك الإشاعات.

(١) القصيدة في "أ"، ص ٨، ١١، و"ت"، ص : ٣٤٣، و"ص"، ص : ٢٧٤، ٢٨١ .

(٢) في "أ" و"ت" حلي.

(٣) في "أ" ،"ت" جفني لقد ألف السهاد.

أدّي الأمانةَ يا جنوبُ ! وغايتِي
في جمع شملِي يا نسيمَ الشمْألِ !
واهدِي إلى من بالرياضِ حديثَهمْ
أذكَى وأحلَى منْ عبيرِ قَرنْفُلِ
تُهدي إليَّ طرائفاً وظرائفًا
ولطائفًا بتعطُّرٍ وتعسُّلِ
حاولتْ نفسي الصبرَ عنهمْ قيلَ لي :
مهْ ! ذا محالٌ ويكَ عنه تحوَّلِ ![1]
كيف التصبُّر عنهمُ ؟! وهمُ همُ
أربابُ عهدي بالعقودِ الكمَّلِ !
أيحلُّ ريبُ الدهر ما عقدُوا ؟! وكمْ
حلَّتْ عقودِي بالمنَى المتخيَّلِ !
تفْديهمُ نفسِي وتفدِي أرضهمْ
أزكَى المنازلِ يا لها من منزِلِ !
أفدِي أناساً ليس يدعَى غيرهمْ
حاشَا العصابةِ والطرازِ الأولِ[2]
يكفيهمُ شرفاً وفخراً باقياً
حملُ اللواءِ الهاشميِّ الأطولِ
قد خصهمُ واختصَّهمْ واختارهمْ
ربُّ الأنامِ لذَا بغيرِ تعملِ
همْ بالمديحِ أحقُّ لكنْ ربَّما
ضاعتْ حقوقٌ بالعدا والعذَّلِ
إن غيرُهمْ بالمال شحَّ وما سخَا
جادُوا ببذلِ النفسِ دون تعلُّلِ

(١) مه : اسم فعل أمر ومعناه اكففْ.

البــاذلــونَ نــفــوســهــمْ ونــفــيــسَــهُمْ
في حبِّ مــالــكِــنَــا الــعــظــيمِ الأجــلــلِ
كم يـــضـــحكُ الـــرحـــمنُ من فـــعلاتـــهمْ
يــومَ الــكــريــهــةِ ! نِــعمَ فــعلُ الــكُــمَّلِ ![1]
الــصــادقــونَ الــصــابــرونَ لــدى الــوغَى
الحـــامـــلـــونَ لـــكلِّ مـــا لم يُـــحْـــملِ
إنْ غـــيـــرُهمْ نـــالَ الـــلــذائــذَ مــســرِفــاً
همْ يــبــتــغــونَ قِــراعَ كــتبِ الجــحــفلِ[2]
وألـــذُّ شيءٍ عـــنـــدهمْ لحمُ الـــعـــدَا
ودمـــاؤهُم كـــزلالِ عـــذبِ المـــنـــهلِ[3]
الـــنـــازلـــونَ بـــكل ضـــنكٍ ضـــيقٍ
رغــمــاً عــلى الأعــدَا بــغــيــر تــهــوّلِ
لا يــعــرفُ الــشــكــوى صــغــيــرٌ مــنــهمُ
أبــدًا ولا الــبــلــوَى إذا مــا يــصْــطــلِي
مـــا مـــنـــهمُ إلا شـــجـــاعٌ قـــارعٌ
أو بـــارعٌ في كل فـــعلٍ مُـــجـــمَلِ
كم نــافــسُــوا كم ســارعُــوا كم ســابــقُــوا
من ســابقٍ لــفــضــائلٍ وتــفــضّلِ
كم حــاربُــوا كم ضــاربُــوا كم غــالــبُــوا
أقـــوَى الـــعـــداةِ بـــكـــثـــرةٍ وتـــمـــوُّلِ
كم صـــابـــرُوا كم كـــابـــرُوا كم غـــادرُوا
أعـــتَى أعـــاديـــهمْ كـــعـــصفٍ مُـــؤْكَلِ[4]

(١) كم يضحك الرحمن : أراد رضا الله سبحانه، والكريهة : الحرب الشديدة.

(٢) الجحفل : الجيش الكثير المدمج [وقوله كتب الجحفل؛ كأنه يريد الكتائب. ولم يرد جمع كتيبة على كتب، كما في هذا البيت] (م).

(٣) يريد استباحة دمائهم (قتلهم) في المعارك (م).

(٤) في "أ" و"ت"،أقوى أعاديهم [وقوله كعصف مؤكل، أراد: كعصفٍ مأكول، ولم يستقم له القول] (م).

كم جـــاهـــدُوا كم طـــاردُوا وتجـــلَّـــدُوا
لـــلـــنـــائـــبـــاتِ بـــصـــارمٍ وبمـــقْـــوَلِ[1]
كم قـــاتـــلُـــوا كم طـــاولُـــوا كم مـــاحَـــلُـــوا
من جـــيشِ كـــفـــرٍ بـــاقـــتـــحـــامِ الجـــحـــفلِ[2]
كم أدلجُـــوا كم أزعـــجُـــوا كم أســـرجُـــوا
بـــتـــســـارعٍ لـــلـــمـــوتِ لا بـــتـــمـــهُّلِ[3]
كم شَـــرَّدُوا كم بَـــدَّدُوا وتَـــعـــوَّدُوا
تـــشـــتـــيتَ كل كـــتـــيـــبـــةٍ بـــالـــصـــيْـــقلِ[4]
يـــومُ الـــوغى يـــومُ المـــســـرةِ عـــنـــدهمْ
عـــنـــد الـــصـــيَـــاحِ له مـــشْـــوا بـــتـــهـــلُّلِ[5]
فـــدمـــاؤُهـــمْ وســـيـــوفُـــهـــمْ مـــســـفـــوحـــةٌ
ممـــســـوحـــةٌ بـــثـــيـــابِ كل مـــجـــنـــدَلِ
لايـــحـــزنـــونَ لـــهـــالكٍ بل عـــنـــدهمْ
مـــوتُ الـــشـــهـــادةِ غـــبـــطـــةُ المـــتـــحـــوِّلِ[6]
مـــا المـــوتُ بـــالـــبـــيضِ الـــرقـــاقِ نـــقـــيـــصـــةٌ
والـــنـــقصُ عـــنـــدهمُ بمـــوتِ الـــهُـــمّلِ[7]
يـــا ربُّ ! إنك في الجـــهـــادِ أقـــمـــتـــهمْ
فـــبـــكلِّ خـــيـــرٍ عـــنـــهمُ فـــتـــفـــضَّلِ

(١) الصارم : السيف. المقول : اللسان.
(٢) في "أ" و"ت" كفر شبه موج يعتلي. وبعد البيت هذا آخر في "أ" و"ت" وهو مفقود في نسخة "حقي"، والبيت هو :

«كم ثبتوا، كم بتتوا، كم شتتوا   شمل الكوافر باقتحام الجحفل»

(٣) أدلجُوا : ساروا ليلا.
(٤) الصَّيقل: الذي يَسُنّ السيوف ويجلوها. والشاعر أراد «الصقيل»: السيف، ولم ينضبط له فقدّم في الكلمة وأخّر! (م).
(٥) في "ت" عند الصباح.
(٦) في "أ" غبطة المثمول، وفي "ت" غبطة الثمول.

يـــا ربُّ ! يـــا ربّ الـــبـــرايـــا ! زدهمُ
صـــبـــرًا ونـــصـــرًا دائـــمـــاً بـــتـــكـــمُّلِ
وافـــتـحْ لـــهمْ مـــولايَ ! فـــتـــحـــاً بـــيِّـــنـــاً
واغـــفـــرْ وســـامحْ يـــا إلـــهي ! عـــجِّلِ[1]
يـــا ربُّ ! يـــا مـــولايَ وابـــقـــهمُ قَـــذًى
في عـــينٍ من هـــو كـــافـــرٌ بـــالمـــرسَلِ[2]
وتجـــاوزَنْ مـــولايَ ! عن هـــفـــواتِـــهمْ
والـــطفْ بـــهمْ في كل أمـــرٍ مـــنـــزَلِ
يـــا ربُّ ! واشـــمـــلـــهمْ بـــعـــفـــوٍ دائمٍ
كن راضـــيـــاً عـــنـــهمْ رضَـــا المـــتـــفـــضِّلِ
يـــا ربُّ ! لا تـــتـــركْ وضـــيـــعـــاً فـــيـــهمُ
يـــا ربُّ ! واشـــمـــلـــهمْ بـــخـــيـــر تـــشـــمُّلِ
مـــتـــوسِّلاً مـــولايَ ! فـي ذا كـــلِّـــه
مـــتـــشـــفِّـــعـــاً بـــشـــفـــيعِ كل مـــكـــمَّلِ
وجـــهتُ وجـــهي في الأمـــور جـــمـــيـــعِـــهـــا
لمحـــمـــدٍ غـــيثِ الـــنَّـــدى المـــســـتـــرسلِ[3]
صـــلّى عـــلـــيـــه الـــلّهُ مـــا سحَّ الحـــيَـــا
والآلِ مـــا ســـيفٌ ســـطَـــا في الجـــحْـــفلِ[4]

****

(١) وافتح... فتحاً بيناً : مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الفتح ١ .
(٢) القذى : ما تُلقى به العين من الأوساخ. [وقول الشاعر «وابقهم» فيه ضرورة لأنه حذف همزة القطع] (م).
(٣) وجهت وجهي : من قوله تعالى : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الأنعام ٧٩ .
(٤) الحيا: المطر، و: سَحّ: سال وانهمر؛ و: سطا: صال ووثب وغلب (م).

عذاب الأسر(*)

[من الكامل]

مــــاذَا عــــلى ســــادتـــنَــــا أهلِ الـــوفَـــا
لـــو أرســلُـوا طـيفَ الـزِّيــارةِ في خــفَــا(1)
يــتــرصَّــد الــرقــبــاءَ حــتى يــغــفــلُــوا
ويـــكــونَ مــانـعُ وصــلِــنــا لــيلاً غــفَــا
فــإذا تــمــكَّــنتِ الــزيــارةُ خــفــيــةً
يــأتي مــواعــدُ وصــلِــنــا مــتــلــطِّــفَــا
ويـــكـــونَ قـــبلَ حــلـــوله أفـــرشْــتُهُ
خــدِّي وَطــاءً لــلــنــعــالِ ولــلــحــفَــا
ويـــكــونَ بــيتُ نــزولهِ قــلــبِي الــذِي
ـ وحــيــاتِــهِمْ ـ من حبِّ غــيــرهمُ عــفَــا
ضـــيفٌ لهُ نُـــزُلٌ لـــديَّ كـــرامـــةً
كـبـدٌ شـواهَـا الـبـعـدُ في جـمـرِ الجـفَـا
يـا سـعـدُ ! إن كـنتَ الـبـشـيـرَ بـوصـلهِ
فــلــقــدْ أتــيتَ عــلى المــســرَّةِ والــوفَــا
لـــو أنَّ نـــفـــسي لي إلـــيكَ بـــذلــتُــهــا
وأراهُ بـــذلَ مـــقـــصِّـــرٍ مـــا أنـــصـــفَــا(2)
وتــكــونُ يــا ســعــدُ المــســاعــدَ لــلَّــذِي
ـ من هــجــرِ مَنْ يــهــواهُ ـ صــار عــلى شــفَــا
لم يُــبْقِ يــومُ الــبــينِ والــهــجــرِ ـ الــذِي
خُــلِــقَــا لــتــعــذيبِ الأحــبــةِ مُــســعِــفَــا

(*) في أسره كان الأمير كثيراً ما يلتجئ إلى التوسل للتخفيف عن نفسه والقصيدة تذهب هذا المذهب.

(1) الـقـصـيـدة في "أ" ص : ١٣ ـ ١٤، و"ت"، ص : ٥٥٤، ٥٥٦، و"ص"، ص : ٢٣٧، ٢٤٢ و"ن"، ص : ٥١، ٥٣، وساداتنا أراد بهم علماء الصوفية.

(2) في "أ" وأراها.

إلا صُــبــابــتَـهُ وجــســمــاً قــد غــدَا

مــلــقًى كــشنٍّ بــالــفلاَ لن يُــخْــصَــفَــا[1]

زفــراتُ قــلــبِي جــمــرُ نــارٍ أُجِّــجَتْ

مــنــهُ دمــوعُ الــعــيِنِ فــاضتْ ذُرَّفَــا

بِــمَــحــاجِــرٍ منْ حــاجِــرٍ أقــذاءُ قَــدْ

طـردْت ضـيـوفَ الـطـيفِ جـاءتْ طُـوَّفَـا[2]

هلْ مـن مــنــامٍ لــلَّــديغ بمَــرَّةٍ

فــضلاً عنِ المــراتِ أو هلْ منِ غَــفَــا ؟!

مــا إن تــألّقَ بــرقُ سَــلْعٍ والحــمَى

حـتى تـفـيضَ الـنـفسُ مـنهُ تـأسُّـفَـا[3]

وأراهُ سـيـفـاً صـارمـاً وسطَ الحـشـا

فـعلَ الأفـاعِي، أو شـهـابـاً مـا انـطـفَـا

يــحــكِي زفــيــرِي رعــدَه وريــاحَهُ

وبــوبــلهِ حــاكَى دمــوعِي الـوكَّـفَـا[4]

وإذَا جــرى ذكــرُ الــعــقــيقِ وأهــلِهِ

أجـرَى الـعـقـيقَ تـأسُّـفـاً وتـلـهُّـفَـا[5]

يـا أهلَ طـيـبـةَ ! مـا لـكمْ لم تـرحـمُوا

صـبّـاً غـدَا لـنـوالـكمْ مُـتـكـفِّـفَـا ؟![6]

---

(١) الشن : القربة الصغيرة. والصبابة : البقية، والخصف : إصلاح الحال بعد الفساد، أو ترقيع ما أصيب بثقوب.

(٢) المحاجر جمع المَحْجر وهو من العين: ما دار بها، وبدا من البرقع، أو ما يظهر من النقاب. وحاجر موضع في ديار بني تميم ذكره الشعراء كثيراً، قال الأعشى:

شاقتك من (قتلة) أطلالها   بالشط فالوتر إلى حاجر (م)

(٣) في "ت" مهما تألقوا فيها، وفي "آ" كادت تفيض. وسلع : موضع في الحجاز ولعله أراد به المسجد النبوي الشريف.

(٤) الوبل : المطر الغزير.

(٥) العقيق الأولى موضع عند المدينة ذكره الشعراء كثيراً (مع أعقّة أخرى أيضاً) والعقيق الثانية: الحجر الأحمر المعروف وجاء به مجازاً ليقول: إنه يبكي بدموع كالعقيق أو يبكي دماً (م)..

(٦) طيبة : من أسماء المدينة المنورة. والمتكفف : الناشد المستعطي.

لا تجـمـعُـوا بـين الـصُّـدودِ وبُـعـدِكمْ
حـسـبِي الـصـدود عـقـوبـةً فـلـقـد كـفَى
لم أدْرِ شـيـئـاً قـبلَ مـعـرفـةِ الـهـوَى
حـبِّي لـكمْ مـا كـانَ قطُّ تـكـلُّـفَـا
مـا بـالـهمْ يـا صـاحِ لم يـتـذكَّـروا
صـبّـاً كـئـيـبـاً في المحـبَّـةِ مـدنـفَـا ؟![1]
مـا قِـيل : ذاكَ أسـيـرُنـا وقـتـيـلُـنـا
بـين الـعـوادِي والأعـادِي مـثـقـفَـا[2]
قـلـبِي الأسـيـرُ لـديـكمُ والجـسمُ في
أسـرِ الـعـداةِ مـعـذبـاً ومـكـتَّـفَـا
حـاشـاكمُ لِـجَـمـيلِ ظـني فـيـكمُ
أن تُـشْـمِـتُـوا فيَّ الـعـدوَ المـرْجِـفَـا
ولـطـالمَـا لام الـعـذولُ بـحـبـكمْ
وأطـالَ عـتـبِي نـاصـحـاً ومـعـنِّـفَـا
ولـكمْ سـعى كـيـمَـا يـصـرِّفَ وجـهـتِي
عـن وجـهِ ودكمُ ولـم يـكُ مـصـرِفَـا
ويـوّدُ لـوْ أنـي سـلـوتُ هـواكمُ
فـيـكـونُ لي خِلاًّ وفـيّـاً مـنـصِـفَـا
قـلبُ الـشـجيِّ كـمَـا عـلـمـتمْ إنهُ
لا يـنـثـنِي عن حـبـكمْ مـتـخـوِّفَـا

(١) مدنف : متهالك في حبه.
(٢) العوادي : المصيبة. مثقف : طريح من جرح، أو مثخن بجراحه.

يــبــغِـي الــوصــالَ ولــو تــمــزَّق تــالِــفــاً

ويــلــذُّ أن يــلــقَى الــعــذابَ ويَــتــلــفَـا[1]

يـــســــرِي ولــــوْ أن الـــظلامَ عــــداتُهُ

ويــســيــرُ لــو كــانَ الــنــهــارُ المــرهــفَـا[2]

****

(١) في "ت" ويلذ بالتعذيب إن يك متلفا.

(٢) المرهف : السيف، الحاد القاطع.

يا سيدي! يا رسول الله!!

[من البسيط]

يـا سـيـدِي ! يـا رسـولَ الـلّهِ ! يـا سـنـدِي !
ويـا رجـائِي ! ويـا حـصـنِي ! ويـا مـددِي ![1]

ويــاذخــيــرةَ فــقــرِي ! يــا عــيــاذِيَ ! يــا
غـوثِي ! ويـا عـدتِي لـلـخـطبِ والـنـكـدِ ![2]

يـا كـهفَ ذلّي ! ويـا حـامِي الـذمـارِ ! ويـا
شـفـيـعَـنـا في غـدٍ ! أرجـوكَ يـا سـنـدِي[3]

لا عــــلـمَ عــــنـــدي أُرجِّـــيـه ولا عــــملٌ
أمـــامَ نجـــوايَ من هـــدي ٍومنْ رشَـــدِ

أبـــــغـي رضـــــاكَ ولا شـيءٌ أقـــــدّمهُ
سـوى افـتـقـارِي وذلِّي واصـفـرارِ يَـدِي[4]

إن أنتَ راضٍ فـيَـا فـخـرِي ويـا شـرفي!
مـــاذا عــــلـيَّ إذَا والـــيتُ من أحـــدِ ؟[5]

****

(١) المقطوعة في "أ"، ص : ١٤، ١٥، و"ص"، ص : ١٤٢، ١٤٣

(٢) يا عياذي، العوذ : الالتجاء، والاحتماء، كما في قوله تعالى :﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق : ١

(٣) الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه. ويقال : "هو حامي الذمار" إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعُنِّف.

(٤) اصفرار اليد: أراد ضعفه، وعدم امتلاكه القوة. [يقال: فلان صفْر اليدين. واستعماله المصدر (اصفرار) هنا غير مناسب] (م).

(٥) في "أ" عن كنت راض [ومجيئه بـ «إن» الشرطية في الجملة غير مناسب] (م)..

أعرني قلباً (*)

[من الطويل]

ألاَ !إنَّ قـــلـــبِي يــــومَ بـــنــــتمْ وســــرتُمُ
غـدا حـائـمـاً خـلفَ الـظَّـعُـونِ يـطـيـرُ[1]
يـــقـــاسِي مـــرارَ المـــوتِ من ألم الجـــوَى
فـــمَـــــا لـيَ إلاَّ أنَّـــــةٌ وزفــــــيــــــرُ
رحـلـتمْ وسـرتم لـو رحـمـتمْ ! فـبـيـنُـكمْ
لِـــحَـــظِّي يـــومُ لـــلـــبلاء عـــســـيـــرُ[2]
وكـــنتُ لـــيـــوم الـــبـــينِ أعـــددتُ عـــدةً
وفي الـــظنِّ مـــا أعـــددتُه لـــكـــبـــيـــرُ !
فـــخـــانَ الـــذي أعـــددتهُ لـــفـــراقـــكمْ
وولَّتْ جـــيــوشُ الـــصـــبـــر وهْي غَـــرورُ
فـــلـــو أنَّـــكمْ يـــوم الـــفـــراق أعـــرتمُ
قـــلـــوبَـــكمُ لي إنَّـــنِي لـــصـــبـــورُ !

****

(*) قال الأبيات في الأسر بفرنسا عندما التجأ إخوته إلى المغرب وتركوه وحيداً.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٥، و"ت"، ص : ٥٥٧، ٥٥٨، و"ص"، ص : ٢١٠، ٢١١ وفي "ت" يسير، و : الظعون بفتح الظاء: الراحلة أو البعير يُحْمَلُ عليه (م).

(٢) في "ت" البيت :

"رحـــلـــتم، ولـــو تـــدروا رحـــمـــتم، فـــبـــيـــنـــكم
لخـــطـــبي لـــيـــومٍ لـــلـــبلاء عـــســـيـــر"

آمن من حمام مكة(*)

[من البسيط]

الحمدُ للّه تعظيماً وإجلالا
ما أقبل اليسرُ بعد العسرِ إقبالا(١)

وما أتَتْ نفحاتُ المسكِ ناسخةً
من المكارهِ أنواعاً وأشكالا(٢)

وأشكرُ اللّه إذا لم ينصرمْ أجلِي
حتى وصَلتُ بأهلِ الدين إيصالا(٣)

وامتدَّ عمرِي إلى أن نلتُ من سندِي
خليفةِ اللّه أفياءً وأظلالا(٤)

فاللّهُ أكرمنِي حقّاً وأسعدنِي
وحطّ عنيَ أوزارًا وأثقالا

قد طالَ ما طمحتْ نفسِي وما ظفرتْ
لكنَّ للوصلِ أوقاتاً وآجالا

أسْكِنْ فؤادي وقرَّ الآن في جسدِي
فقد وصلتُ بحزب اللّه أحبالا(٥)

هذا المرامُ الذي قد كنتَ تأملهُ
فطبْ مآلاً بلقياه وطبْ حالا

(*) قال الأبيات في حضرة السلطان "عبد المجيد" عندما خرج من السجن واختار تركيا للمقام في أول الأمر.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٥، ٢٧. و"ت"، ص : ٥٧٦، ٥٧٨، و"ص"، ص : ٢٥١، ٢٥٦ و"ن"، ص : ٣٧، ٤٠ في البيت معنى قوله تعالى : ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح : ٠٥

(٢) في "ت" نفحات الخير.

(٣) حق الكلام أن يكون: «حتى وصلت.. وصلاً» ولكنه عدل – للضرورة – إلى مصدر آخر هو إيصال وفعله أوصل (م).

(٤) أظلال أحد جموع كلمة ظلّ (م).

(٥) أحبال أحد جموع «حَبْل» (م).

وعش هـــنـــيـــئـــاً فـــأنتَ الـــيـــوم آمَنٌ مِنْ
حــــمــــام مــــكـــةَ إحــــرامـــاً وإحلالا[1]

فـــأنتَ تحت لـــواء المجـــدِ مـــغـــتَـــبِطٌ
في حـــضـــرةٍ جـــمـــعتْ قـــطـــبـــاً وأبـــدالا[2]

وتِـهْ دلالاً وهــــزَّ الـــعـــــطفَ من طـــربٍ
وغنِّ وارقصْ وجُــــرَّ الـــذيل مـــخـــتـــالا[3]

أمِـــنتَ من كل مـــكــروهٍ ومـــظـــلـــمـــةٍ
فـــبُحْ بمـــا شـــئتَ تـــفـــصـــيلاً وإجـــمـــالا

هـــذا مَـــقـــامُ الـــتـــهـــانِي قـــد حـــلـــلتَ بِهِ
فـــارتعْ ولا تـــخشَ بـــعـــد الـــيـــوم أنـــكـــالا[4]

أبـــشـــرْ بـــقـــربِ أمـــيـــر المـــؤمـــنـــينَ ومَنْ
قـــد أكـــملَ الـــلّـه فـــيـه الـــدينَ إكـــمـــالا

عـــبـــدُ المجـــيـــد حـــوى مـــجـــدًا وعـــزَّ عُلاً
وجلَّ قــــدرًا كـــــمـــــا قــــد عمَّ أنــــوالا

كـــهفُ الخلافـــةِ كـــافـــيـــهَـــا وكـــافـــلُـــهـــا
ومـــا عـــهـــدْنـــا له في الـــقـــرنِ أمـــثـــالا[5]

يـــا ربّ !! فـــاشـــددْ عـــلـــى الأعـــداءِ وطـــأتَهُ
واحـــمِ حـــــــمـــــاه وزِدهُ مـــــنك إجلالا

وأظـــــهـــــرنْ حـــــزبَه في كل مُـــــتَّـــــجـهٍ
وسَـــــدِّدَنْ مـــــنه أقـــــوالاً وأفـــــعـــــالا

---

(١) إحراما وإحلالا : أراد الأشهر الحرم، والأشهر الحل.

(٢) القطب ويسمّى الغوث، والأبدال: هم عند القوم سبعة، كما في التوقيف على مهمّات التعاريف (٢٩) لا يزيدون ولا ينقصون.. إلخ، والكلام متعلق بمصطلحات الصوفية (م).

(٣) العطف : جانب الجسم، أو الخصر.

(٤) أنكال جمع نِكل وهو القيد الشديد (م).

(٥) في "أ"، و"ت" من لا عهدنا له.

وابسطْ يديه على الغَبراءِ قاطبةً
وذلِّلنْ كل من في الأرض إذلالا !![١]
فالمسلمونَ بأرض الغربِ شاخصةٌ
أبصارُهمْ نحوه يرجونَ إقبالا
كم ساهرٍ يرتجِي نوماً بطلعتهِ
وحائرٍ يرتجِي للحزنِ تسهَالا
فرعُ الخلائف وابنُ الأكرمين ومَنْ
شدّوا عُرى الدين أركانًا وأطلالا[١]
كم أزمةٍ فرجُوا! كم غمةٍ كشفوا!
كم فكّكوا عن رقابِ الخلق أغلالا
همْ رحمة لبني الإيمانِ قاطبةً
همُ الوقايةُ أسواءً وأهوالا
أنصارُ دين النبيْ من بعد غيبتهِ
في نصره بذلوا نفساً وأموالا
قد خصّهمْ ربُّهمْ في خير منقبةٍ
ما خصَّ صحْباً بها قبلاً ولا آلا
كم حاول الصحبُ والآلُ الكرامُ لها
واللّه يختصُّ من قد شاء أفْضَالا
ما زالَ في كل عصرٍ منهمُ خلفٌ
يحمي الشريعةَ قوّالاً وفعّالا[٢]
حتى أتى دهرُنا في خير منتخَبٍ
من آل عثمانَ أملاكاً وأقيالا[٣]

(١) الغبراء : الأرض كلها.
(٢) في "أ" و"ت" وشادوا عرى.
(٣) في "أ" و"ت" مقوالا ومفعالا.
(٤) أملاكا : جمع ملك، والأقيال : جمع قَيْل لقب كان يطلق على ملوك اليمن من حمير.

قد كنتُ مضمرَ خفضٍ ثم أكسبني
رفعاً وقد عمَّني جودًا وأفضالا[1]
وبالإضافةِ بعد القطعِ عرَّفني
وحطّ عنِّي تصغيرًا وإعلالا
هذا وحقّ علاهُ كم أزاحَ وكمْ
أزالَ عنيَ بمحضِ الفضلِ أثقالا
لا زال تخدمهُ نفسِي وأمْدحهُ
مستغرق الدهر أبكارًا وآصالا[2]
أهدِي مديحِي وحمدِي - ما حييتُ - لهُ
أفادني أنعُماً - جلّتْ - وإقبالا
جزاهُ عنّي إلهُ العرش أفضلَ ما
جزى به محسنًا - يوماً - ومفضالا

****

(١) في هذا البيت والذي يليه استفادة من مصطلحات النحو والصرف على سبيل التورية (م).

(٢) في البيت صلة بقوله سبحانه : ﴿وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾، الأحزاب : ٤٢، [وقوله: أبكاراً هي جمع بُكْرة، ويقال بُكَر أيضاً] (م).

توسلات ودعاء(*)

[من البسيط]

يـــا ربُّ يـــا ربُّ ! يـــا ربَّ الأنـــام ! ومَنْ
إلـــيه مَـــفْـــزعُـــنَـــا سِـــرًا وإعلانَـــا[1]

يـــا ذا الجلالِ ! وذا الإكـــرام ! مـــالـــكُـــنـــا
يـــا حيُّ ! يـــا مُـوليـــاً فـضلاً ! وإحـسـانَـا[2]

يـــا ربُّ ! أيِّـــدْ بـــروح الـقـــدْس مـلـــجـــأنـــا
عـــبـــدَ المجـيـــد ولا تـبـــقـــيهِ حـيـــرانَـــا[3]

ابْنُ الخلائف وابْنُ الأكــــــرمــــــين ومَنْ
تـــوارثُـــوا المُلْكَ سـلـطـانـاً فـسـلـطـانَـا

أحـيَـــا الجـــهـــادَ لـنـــا من بـعـــد مـــا دَرَسَتْ
وضـــاعـفَ المـــالَ أنـــواعًـــا وألـــوانَـــا[4]

فـانـصـرهُ نـصـرًا عـزيـزًا لا نـظـيـر لهُ
حـتى يـزيـدَ الـعِـدا : هـمّـاً وأحـزانَـا[5]

واحـــــفظْ عـلاهُ وأرسلْ يـــــا كــــريمُ لهُ
من الملائكِ حـــفَّـــاظـــاً وأعـــوانَـــا

وانــصـــرْ به الـــشـــرعَ وارفعْ يـــا رؤوفُ بِهِ
عن ديـــنكَ الحقِّ لا تــعـــدمْه بـــرهـــانَـــا

(*) قال القصيدة في الدعاء والتوسل من أجل نصرة الدولة العثمانية في معركتها مع روسيا في جزيرة القرم عام ١٨٥٣

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٧، ٢٩ و"ت"، ص : ٥٨١، ٥٨٣، و"ص"، ص : ٢٩٣، ٢٩٨ و"أ"يا رب الثالثة غير موجودة.

(٢) يا ذا الجلال، ويا ذا الإكرام : من قول الله عز وجل : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلال والإِكْرَام﴾ الرحمن : ٧٨ .

(٣) بروح القدس : وظف الحديث الشريف الذي دعا فيه ﷺ بقوله : «اللهم أيده بروح القدس» [والصواب: ولا تبقه].

(٤) درست : بليت، امحت، والمعنى بعدما درست معالم الجهاد.

واجـمـعْ إلــهي قـلــوبَ المـسـلــمــين عــلى
ودادِه، أعــــلـه، أعـــظمْ لـه شـَــــانَــــا[1]
به الــصــوابَ أصبْ واجــعلْ له فــرَجًــا
بـطـانـةَ الخـيـر : أقـطـابًـا وأركـانَـا
واهــدمْ وزلــزلْ وفــرّقْ جــمعَ شـانِــئِه
واجـــعلْ فــؤادَهمُ بــالــرعبِ مــلآنَــا
وانــصــرْ وأيِّــدْ وثــبتْ جـيشَ نـصــرتِه
أنــصــارَ ديــنك حــقــاً آل عُــثــمــانَــا
الــبــاذلــون بــيــومِ الحــربِ أنــفــســهمْ
لــلّه كمْ بــذلُــوا نــفــســاً وأبــدانَــا
والـضـاربـونَ بـبـيضِ الـهـنـد مـرهَـفـةً
تــخــالُــهــا في ظلام الحــربِ نــيــرانَــا
والـطـاعـنـونَ بـسُـمـر الخطّ عـالـيـةً
إذا الــعــدوُّ رآهــا شُــرِّعتْ بــانَــا[2]
والمـصـطـلـونَ بـنـارِ الحـرب شـاعـلـةً
مـطـلـوبـهمْ منكَ يـاذا الـفضلِ رضـوانَـا
والـراكـبـونَ عـتـاقَ الخـيل ضـامـرةً
تـخـالُـهـا في مـجـال الحـربِ عُـقـبـانَـا[3]
جــيشٌ إذا صــاحَ صــيَّـاحُ الحــروب لــهمْ
طــاروا إلى المـوتِ فــرســانًــا ورُجلانَــا[4]

---

(١) في "ت" وأعله أعظم.

(٢) سمر الخط : الرماح المصنوعة بقرية تدعى الخط بالخليج العربي [وبان هنا بمعنى بَعُد، يريد يهرب العدو ويبتعد حين يرى الخليفة العثماني وأسلحته الفاتكة] (م).

(٣) البيت على صلة ببيت أبي البقاء الرندي :

«يا راكبين عتاق الخيل ضامرة   كأنها في مجال السبق عقبان»

(٤) بعض المعنى مستمد من قول قريط بن أنيف :

«قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم   طاروا إليه زرافات ووحدانا»

[رجلان بضم الجيم جمع] (م).

همُ الجـــبــال ثـــبــاتـــاً يــوم حـــربـــهمُ
فـصـــابـــرٌ من عـــداهمْ صـــبـــرُه خـــانَـــا[1]

همُ الـلـيــوثُ لـيــوث الـغــابِ غـاضــبــةً
والـلــيث لا يُـلــتَـقَـى إن كـان غـضــبـانَــا

همُ الأُولى دأبُـــهمْ شقُّ الـصـــفــوفِ لـــدَى
حَـمْلاتـهمْ، صـار جـيشُ الـكـفـرِ دهشـانَـا[2]

الـــــدافـــــعـــــونَ عن الإسـلام كلَّ أذىً
بـــأنــفسٍ قـــد غـــلـتْ قـــدرًا وأثـــمـــانَـــا

كم غـمّـــةٍ كـشـفُـوا! كم كـربــةٍ رفــعُـوا ؟!
وكم أزاحُـــــوا عـن الإسلامِ عُـــــدوانَـــــا!

يـــا ربُّ زدهمْ بـــتـــأيـــيـــدٍ إذا زحـــفُـــوا
واقــطعْ بـسـيـفــهمُ ظـلــمــاً وكـفــرانَــا

ألقِ الـــســكــيــنـــةَ ربي في قـــلـــوبـــهمُ
وزدهمُ يـــا إلـهَ الـــعـــرشِ إيمـــانَــــا

وجَّـــهتُ وجـــهِي أنِـــلـــني مـــا دعـــوتُ بِهِ
بـــأهلِ بـــدرٍ حـــمـــاةِ الـــدين أركـــانَـــا[3]

مَنِ الإلهُ لـــهمْ قـــال افـــعـــلُـــوا وذرُوا
مـــا شـــئـــتمُ لـــكمُ أوجـــبتُ غُـــفـــرانَـــا

أعـــنِي : الألى صـــرَّح الحـــفَّـــاظ ذكـــرهمُ
بـإسـمـهمْ تـاركًـا مَنْ خـلـفـهم بـانَـا[4]

---

(١) في "ت" هم الرجال.

(٢) دهشان مصدر «دهش» أي شُدِه وتحيّر، ومثلها دَهِش (م).

(٣) وجهت وجهي : مأخوذ من قول الله عز وجل : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا أَنَا مِنَ الـمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام ٧٩ .

(٤) في "أ" أعني الذي. [وقطع همزة الوصل في «باسمهم» ضرورة للوزن] (م).

بـقـطـبـهمْ أحـمـدَ المخـتـار مِن مُـضـرٍ
وسـيِّـد الخـلـقِ أملاكـاً وإنـسـانَـا
كـذا خـلـيـفَـتُهُ الـصـدِّيقُ مـلـجـؤنـا
وأعـظمُ الـنـاس إيمـانـاً وإيـقـانَـا
وبـالمـكـنَّى أبي حـفصِ الـذي افـتـتـحتْ
به المـغـالقُ حـتى صـعـبُـهـا دانَـا[1]
وبـالخـلـيـفـةِ ذي الـنُّـوريْنِ ثـالـثـهمْ
أعـنِي بـذلك : عـثـمـان بن عـفَّـانَـا
وبـالإمـام أَخي المخـتـار ذاك عـليْ
مَنْ في الـوغَى بـالـعدا تُـلْـفِيهِ فـرحـانَـا[2]
وبـابن عـثـمـانَ عـبـد الـلّه سـيِّـدِنـا
وابن الـبـكـيـرِ إيـاسٍ سـاد إعلانَـا[3]
وحـاطبٍ وبلالٍ ثـم حـمـزة ذا
عمُّ الـنـبيِّ كـريمٌ سـاد قـحْـطـانَـا[4]
بـسـعـدهمْ وأبي طـلـحـة وسـهْـلـهمُ
كـذا سـعـيـد ظـهـيـر سـادَ عـدنـانَـا[5]
بـصـنْـوه وعـبـيـدِ الـلَّه ثمَّ أبي
حـذيـفـةٍ وحـبـيـبٍ زاد رضـوانَـا[6]
بـابنِ الـربـيع إلـهي وابنِ رافـعـهمْ
رفـاعـةٍ ثـم زيـد سـيـدًا كـانَـا[7]

(١) في "ت" انفتحت. وأبو حفص : كنية عمر بن الخطاب.

(٢) في "ت" تلقاه فرحانا.

(٣) هو عبدالله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وإياس بن أبي البكير شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها (م).

(٤) حاطب بن أبي بلتعة (م).

(٥) سعد بن أبي وقاص، وأبوطلحة زوج أم سليم اللذين دعا لهما النبي وبارك لهما، وسهل بن حنيف آخاه النبي ﷺ مع علي رضي الله عنه، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (م). والشطر الأول غير مستقيم الوزن.

(٦) أقترح أن تقرأ: بصنوه ابن عُبيدالله، وهو طلحة بن عبيدالله. (ومعلوم أن نسخ ديوان الأمير عبدالقادر المطبوعة كلها لم تحقق على المخطوطات) وأبوحذيفة العبشمي، وحبيب بن بديل بن ورقاء (م).

(٧) سعد بن الربيع الأنصاري، ورفاعة بن رافع بن العجلان الأنصاري، وزيد بن ثابت الأنصاري.

وبـــالـــزبـــيـــرِ؛ أبي زيـــدٍ كـــذاك أبـــو
لـبـابـةِ الخـيـر مَن قـدْ عـزَّ إخـوانَـا[1]
وبـــابن عـــوفٍ وعَـمْـرٍو؛ عـقـبـةٍ وكـذا
عـبـيـدةٍ مَنْ لـدينِ الـلّه قـد صـانَـا[2]
وعـــامـــرٍ وخـــنـــيسٍ ثم عـــاصـــمـــهمْ
ثم ابنِ صـــامـــتـــهمْ مَنْ زادَ إذعـــانَـــا[3]
عُـــوَيمِـــرٍ ثم عـــتـــبـــانٍ وحُقَّ لـــهمْ
ســـيـــادةٌ ومـــعـــاذٍ طـــابَ أردانَـــا[4]
ومـــعـــوذٍ وأخـــيه ثم مـــسْـــطـــحـــهمْ
كـذاكَ مـالـكـهمْ مـقـدامُ مـاشـانَـا[5]
قـــدامـــةٍ وهلالٍ لانـــظـــيـــرَ لـــهمْ
مـــرارةٍ وأبيٍّ : فـــضـــلـــهمْ بـــانَـــا[6]
إني تـــوســـلتُ يـــاربَّ الأنـــام ! بـــهمْ
أرجـوك فـضلاً وغـفـرانـاً وإحـسـانَـا[7]
ثم الـــصلاة عـــلى المخـــتـــارِ ســـيـــدِنـــا
مـاصـارتِ الـشّـيبُ يـوم الحـربِ شُـبّـانَـا

****

(١) في ت: عزّ أخدانا [الزبير بن العوام، وأبوزيد الأنصاري، وأبولبابة مولى رسول الله ﷺ]

(٢) عبدالرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، وعقبة بن عامر، وعبيدة بن الحارث (م).

(٣) في "أ" من زان إذعانا. [عامر بن ساعدة، وخُنَيس بن أبي السائب، وعاصم بن قيس حميّ الدبر أو عاصم بن عدي، وعبادة ابن الصامت] (م).

(٤) عويمر أبوالدرداء، وعتبان بن مالك بن العجلان، ومعاذ بن جبل (م).

(٥) معوذ بن الحارث، وأخوه عوف، ومسطح بن أثاثة، ومالك بن التيهان أول أنصاري دخل في الإسلام (م).

(٦) قدامة بن مظعون، وهلال بن أمية الأنصاري كانت معه راية بني واقف يوم الفتح، ومرارة بن الربيع الأنصاري، وأبيّ بن كعب الأنصاري وأبي بن ثابت الأنصاري (م)

(٧) في "ت" أرجوك فضلاً وإحساناً وغفراناً.

نعم الأكرمين(*)

[من المتقارب]

ولم أرَ أعظمَ من نعمةٍ
مُنِحتُ ولم تكُ لي في حسابْ(1)

سأشكرهَا شكرَ وقت السرورِ
وأذكُرها ذكرَ وقتِ الشبابْ

أيا سابقاً بِالذي لم يجُلْ
بفكري ثواباً ونعمَ الثوابْ

كذا فلتكُنْ نِعَمُ الأكرمينَ
تفاجِي بلا مِنّةٍ أو طلابْ

****

(*) قال الأبيات بعد تلقيه وسامًا من السلطان عبد المجيد.

(1) الأبيات في "أ"، ص: ٢٩ و"ت"، ص: ٦٣٩، ٦٤٠، و"ص"، ص: ١١٣، ١١٤ [والقافية في هذه الأبيات مقيدة] (م)

بمن أعتاض عنك(*)

[من الوافر]

ألاَ فَــاقْــرِ الخــلــيلَ خــلــيلَ بــاشَــا
سلامــاً طــيــبــاً عــبــقــاً نــفــيــسَــا[1]
لـه قُلْ : يـــاشـــقـــيقَ الـــروح عـــنّي
علامَ هــجــرتَ بــلــدَتــنــا : بُــرُوسَــا ؟![2]
لــقــد كــانتْ تــفــاخــرُ كلَّ مــصــرٍ
وتُــطــلــعُ من شــمــائــلــكمْ شــمــوسَــا[3]
فــعــادتْ بــعــدكمْ شــمْــطــاً عــجــوزًا
وكــانت تجــتَــلِي بــكمُ عــرُوسَــا[4]
وعــهــدِي سُــوحُــهــا بــالــوفــدِ مَلأى
فــأضــحتْ بــعــدكمْ خــلْــوًا دَرُوسَــا[5]
وكــنتَ لــنــا بــهــا غــيْــثــاً مَــريــعــاً
وكــهــفــاً مــانــعــاً ضُــرًّا وبــوسَــا[6]
وكــان لــنَــا الــزمــانُ بــكمْ ضــحــوكــاً
فــصــارَ لــنــا بــفــقــدكمُ عَــبُــوسَــا
بمنْ أعــتــاضُ عــنك ؟! فــدْتكَ نــفــسِي !
وكــنتُ بــقــربــكمْ فــرِحــاً أنــيــسَــا!

****

(*) حُوِّلَ والي بروسة "خليل باشا" عنها، وكان صديق الأمير فقال القصيدة في ذلك.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٠ و"ت"، ص : ٥٩٢، و"ص"، ص : ٢٢٢، ٢٢٣

(٢) في "أ"، و"ت" مني علام.

(٣) في "ت" كم كانت.

(٤) الشمطاء : المرأة المسنة الذميمة.

(٥) سوحها : واحدتها ساحة : وهي الميدان الفسيح. درست : امحت وبليت.

(٦) في "ت" غيثا هتونا.

غلاء الدار بالجار[*]

[من الطويل]

أبَى القلبُ أن ينسَى المعاهدَ من بُرْسَا
وحبِّي لها بين الجوانح قد أرسَى[1]

أكلّفه سلوانَها وهْو مغرَمٌ
فهيهاتَ أن نسلُو وهيهاتَ أن ينسَى[2]

تباعدتُ عنها ويحَ قلبيَ بعْدَها
وخلَّفتها والقلبُ خلفي بها أمسَى

بلادٌ لهَا فضلٌ على كلِّ بلدةٍ
سوى من يشدُّ الزائرون لها الحلْسَا[3]

فمَا جَازها فضلٌ ولاحلَّ دونها
سواها نجومٌ وهي أحسَبها شمسَا

عليَّ محالٌ بلدةٌ غيرها أرَى
بها الدينَ والدنيا طهورًا ولا نجْسَا

وجامِعها المشهورُ لم يكُ مثلُهُ
به العلمُ مغروسٌ به كم ترَى درْسَا!

(*) بعث بالقصيدة إلى صديق له "ببروسة" بعدما غادرها ليستقر في دمشق بسبب الزلازل التي كانت تضرب بروسة بين حين وآخر.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٣، ٣٤ و"ت"، ص : ٥٩٢، و"ص"، ص : ٢١٨، ٢٢٢

(٢) في "أ" أن يسلوا.

(٣) يريد البلدان التي عناها الرسول ﷺ في حديثه: «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» [رواه أبوداوود وأحمد والنسائي وابن ماجة. والحلس كساء رقيق على ظهر الدابة تحت البردعة،] (م).

وسـلـطـانُـهـا أعـنِي الأمـيـرَ رئـيـسـهَـا
به افـتـخـرتْ "بُـرْسـا" فـأعـظمْ به رأسَـا
ومـــنـــزلـهُ الأعـــلَـى حـــكَـى ليَ روضــةً
به الـفـخـرُ قد أمـسَى، به الـفـضـلُ قد أرسَى
بـــهَـــا آلُ عـــثـــمـــانَ الجـــهـــابـــذةُ الأُلى
أشـادُوا مـنـارَ الـدينِ وابـتـذلُـوا الـنـفسَـا[1]
لـيـبـكِـهُم لـلـدّينِ من كـان بـاكـيًـا
فمـا شـامَ هـذا الـدينُ في عـصـرهمْ نـحـسَا![2]
فـكم عـالم فـيـهمْ! وكم مِن مُـجـاهـدٍ !
وكمْ من وليٍّ قـد تـخـيَّـرهـا رمـسَـا[3]
ألا ! لـيتَ شـعـرِي هل أحلُّ ريـاضَـهـا ؟
و" بـنَّـارِ بـاشٍ "هلْ أطـيـبُ به نـفْـسَـا ؟![4]
فـيـصبُـو بـهـا في الـعـيـدِ من لـيس صـابـيًـا
ويـفـرحُ مـحـزونُ الـفـؤادِ ولا يـأْسَى
وكـيف "جَـكُـرَّكَه" بـعـدنـا وقـصـورُهـا ؟!
تـراهـا الـثـريَّـا إذ تـوسّـطتِ الـقـوسَـا[5]
ومنْ تحـتِـهَـا نـهـرٌ جـرى مـتـدفّـقًـا
يـشـابه ثـعـبـانًـا وقـد خـشيَ الـحـسَّـا[6]
فـهـبْـنِيَ أسـلـو أرضَـهـا بـتـكـلُّفٍ
فـلـستُ بـسـالٍ لـلأهـالِي ولا أنـسَى

(١) الجهابذة : الفصحاء المتميزون.
(٢) في "أ" ألا بيكهم. و : فما شان. شام : شهد، وأحس.
(٣) تخيرها رمساً: يريد اختارها دار إقامة دائمة حتى كانت وفاته فيها. والرَّمس: القبر (م).
(٤) في الديوان: [حقي ١٧٣، وصيام ٢٢٠] «نارباش» مكان في بروسّا (م)..
(٥) جكركة : من أحياء بروسة الجميلة.
(٦) خشي الحسَّا : يريد سرعة النهر لإحساسه بالخطر كالثعبان.

ومن أجــلـــهمْ حـــبِّي لـــهـــا وتـــشـــوُّقي
وإنَّ غلاءَ الـــدار بـــالجـــار قـــد أمْـــسَى
أنـــاسٌ بـــهمْ أهـــلِي ســـلـــوتُ وبـــلـــدَتي
وفي كلّ آنٍ قـــد رأىَ نـــاظـــرِي أُنـــسَـــا
وفـــارقتُ أهـــلِي مـــذ تجـــمَّع شـــمـــلُـــنـــا
وأمّـــنْتُ لا غـــمّـــاً أخـــافُ ولا نـــكْـــسَـــا[1]
مـــكـــارمُ أخلاقٍ وحـــسنُ شـــمـــائلٍ
ولـــينُ طـــبـــاعٍ والـــلـــطـــافـــةُ لا تُـــنْـــسَى
ســـقَى الـــلّه غـــيـــثـــاً رحـــمـــةً وكـــرامـــةً
أراضٍ بـــهـــا حلَّ الأحِـــبـــةُ من بُـــرْسَـــا[2]

****

---

(٧) في "أ" وأمنت.

(١) أراض : حقّها النصب، وقد اضطر الشاعر إلى حذف الياء لاقتضاء الوزن ذلك.

كريم من كريم(*)

[من الوافر]

فـــذَا ديـــوان ســـيّـــدنـــا الـــكـــريمِ
سـلـيلِ المـصـطـفَى عـبـدِ الـكـريمِ[1]

مِن اللائِي تـــطِـــيـــعُـــهمُ الـــقـــوافي
وتـــنـــقـــادُ انـــقـــيـــادًا كـــالـــغـــريمِ[2]

وتـــألـــفُـــهـمْ مـــعـــانٍ شـــاردات
دقـــيـــقـــاتٌ أرقُّ من الـــنـــســـيـمِ

لـــهـــا في قـــلـبِ ســـامـــعـــهـــا دبـــيبٌ
دبـــيبُ الـــبـــرءِ في ذاتِ الـــســـقـــيمِ[3]

وتُـــطـــربُ من يـــفـــرُّ من المـــثـــانِي
وتُـــرقصُ من يـــكـــدر بـــالـــنـــديمِ[4]

إذا هـــزُّوا الـــيـــراعَ أتـــوا بـــســـحـــرٍ
ذوُو الـــتـــبـــيـــانِ والـــطـــبعِ الـــســـلـيمِ

وإنْ هـــزُّوا الـــقـــنَـــا ونَـــضـــوا ســـيـــوفـــاً
تـــظلُّ عـــداتـــهُـمْ مـــثـلَ الـــهـــشـــيمِ[5]

(*) تلقى الأمير عبد القادر نسخة من ديوان عبد الكريم الحمزاوي أحد وجهاء دمشق أهداها إياه فقرظه بالقصيدة، ومدحه لانتسابه للأسرة النبوية الشريفة كما مدح شعره.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٤، ٣٥ و"ص"، ص : ٢٨٩، ٢٩٠

(٢) أخذ على استعمال "اللائي" لجمع الذكور، وهو اسم موصول لجمع المؤنث.

(٣) في "أ" في عظم سامعها. والبيت فيه تمثل بيت أبي نواس :

«فـــتـــمـــشـــت في مـــفـــاصـــلـــهـم
كـــتـــمـــشـــي الـــبـــرء في الـــســـقـم»

(٤) المثاني : العود أو القيثارة.

(٥) في "أ" تطل عداتهم، والهشيم : الزرع الجاف.

نـــظـــرْتُ كلامه فـــبـــكـــيت حـــزنًـــا
ومـــا شـــهْمٌ لـــفـضلٍ بـــالـــســلـــيمِ
ولـــكنْ مـــســـكنُ الـــعَـــبـــراتِ مـــنِّي
بـــنـــجـــلـــهمُ وفـــخـــرهِمُ ســـلـــيمِ
كــــــريمٌ مـن كــــــريمٍ مـن كــــــريمٍ
كــــــريمٌ مـن كــــــريمٍ مـن كــــــريمِ[1]
إلى أبـــنـــاءِ هـــاشمَ قـــدْ نَـــمـــتْهُ
ذوُو الأحـــســـاب والـــشـــرفِ الـــعـــمـــيمِ[2]
فـــذخْـــرِي حـــبُّـــهمْ عـــنـــد احـــتـــيـــاجِي
ولا يـــغـــني حـــمـــيمٌ عن حـــمـــيمِ[3]

****

(١) تكرار الكريم يساير أخلاق الأمير فهو كريم من كرماء يحب من يصفه بذلك.

(٢) نمته : رفعته.

(٣) يقول إنه يدّخر حبّ آل البني رجاء أن ينفعه في يوم المشهد العظيم: ﴿يَوْمَ تكُونُ السّماءُ كالمُهْلِ . وتكُونُ الجِبالُ كالعِهْنِ . ولا يَسْأل حميمٌ حَميماً﴾ المعارج ٨-١٠ (م).

محامد العلم(*)

[من الكامل]

سَـــرِّح سَـــوادكَ والـــطـــروسُ سَـــمَـــاءُ
مــا لــلــسِّــمــاكِ لــدى الــعــروسِ علاءُ[1]

حــمــدًا لمــلــهمِ أوْحــدِ الــعــلــمــاءِ مَــحْـ
ـــمــودٍ عــلــومــاً مــالــهــا إحــصــاءُ!

هــو أعــلم الــعــلــمــاء وَاحــدُ عــصــرِهِ
هــــو طـــودُ ســـرٍّ هُــــدًى له إهــــداءُ

وهــــوَ الإمــــامُ وأهلُ كل مـــحَــــامـــدٍ
مــا دعْــدُ ؟ مــا عُــلــوَى ؟ ومــا أســمــاءُ ؟!

أهــدَى الــورى الــسِّــحْــرَ الحلال وكم لهُ
هـــــمَمٌ لـــــهَـــــا دومــــاً عُلاً وولاءُ[2]

الــــــلّــه أولَــى آل طــهَ ســــــؤودًا
ومــحـــامــدًا لــعــلــومِــهــا إملاءُ[3]

والـــــلّــه ودُّهـمُ وأعـــطـــاهمْ حِـــمًى
ســرّاً علاه لــلــســمــاكِ ســـمـــاءُ[4]

لــــلّــه ! مــــا أحــــلَى وأمــــلحَ مـــوردًا
أهـــداهُ وهـــو إلى الـــهـــمـــومِ دواءُ !

****

(*) قال القصيدة في تقريظ تفسير "محمود الحمزاوي" مفتي دمشق الذي أهدى منه نسخة إلى الشاعر.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٥، و"ص"، ص : ٩٥، ٩٦، والسواد : كناية عن الحبر الأسود، والسماك : نجـم ساطع. أراد في البيت أن معاني "الحمزاوي" عروس المعاني، وآثاره العلمية سيدة الآثار، ولا أحد يسمو إلى علاه.

(٢) للشطر رواية أخرى هي : "همم لها دوما عطا وولاء".

(٣) صرف (محامد) للضرورة الشعرية (م).

(٤) آل الحمزاوي من الأشراف. وقوله «والله ودّهم» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عليه أَجْراً إلا المودّةَ

هدية وشكر(*)

[من الوافر]

تـــفـــضَّلْ بـــالـــقَـــبُـــول لـــهـــا فـــإنِّي
أرَى الـــدنـــيـــا جـــمـــيـــعـــاً دون قـــدرِكْ[1]

لأنكَ بَـــضْـــعَـــةُ المخـــتـــارِ صِـــرفًـــا
فـــفـــخْـــرُ الخـــلـــق طـــراً دون فـــخـــرِكْ[2]

ولـــيـــسَ الـــنـــاسُ غـــيـــركمُ بـــنـــاسٍ
إذا قـــاسُـــوا بـــحـــارَهم بـــدرِّكْ

وإنَّك إن قـــبـــلـــتَ ـ فـــدتكَ نـــفـــسِي ـ
لـــقَـــدْ حَـــمَّـــلْـــتَـــنِي أعـــبـــاءَ شـــكـــرِكْ

****

(*) أبيات أرفقها الأمير بهدية أرسلها إلى صديقه المفتي "محمود الحمزاوي".

(1) الأبيات أثبتت في "أ"، ص : ٣٦، وغير مثبتة في بقية المصادر.

ما أكمله(*)

[من المتقارب]

خَـلـيـلـي ! أتـانِيَ منكَ الكتابُ

فللّهِ درُّكَ ما أجمَلَهْ ؟!(1)

أتانِي كما أنَا ذا طالبٌ

فلا زلتَ في الوقتِ ذا أفضَلَهْ(2)

ولا زلتَ حائز قصْبِ السباقِ

إلى كلِّ فضلٍ عَلاَ نائلَهْ

تهزُّ اليراعَ فتخْشى السيوفُ

وتصبحُ مهزومةً جافِلَهْ

وما زالتِ السمرُ والمرهفاتُ

لأقلامكمْ خدَمًا ماثلَهْ

إذا كان فضلُ الغنَى بالسانِ

فأنتمْ لكمْ ألسنٌ فاضلَهْ(3)

وإنْ كانَ خاصَّته كاتباً

فكمْ من خوَاصّ لكمْ كاملَهْ

(*) بين الأمير، ومفتي دمشق "محمود الحمزاوي" مراسلات، ومن تلك كتاب ورد عليه من المفتي أعجب به، فرد عليه بقصيدته "ما أكمله".

(1) القصيدة في "أ"، ص : ٣٦، و"ص"، ص : ٢٨١، ٢٨٢، وفي "أ" دره ما أجمله.

(2) الأبيات ١،٢،٨،١٠ من هذا القصيدة مخالفة لقواعد القافية؛ فإنها تخلو من ألف التأسيس الثابتة في سائر الأبيات. فقوله: «أفضله» لا يتفق من جهة علم القافية مع «نائله» مثلاً. وسناد التأسيس» من عيوب القافية.

(3) في "أ" فضل الفتى.

لـــئنْ كـــان لـــفظُ اســـمِـــكمْ مـــفـــردًا

فـــمـــعـــنـــاكمُ الجـــمعُ مـــا أشـــمـــلَهْ ؟!

ولـــو كـــانَ بـــالـــفـــضْل يُـــرْقَى الـــســـمـــاكُ

رقـــيـــتُم وأثـــقـــلْـــتُمُ كـــاهـــلَهْ[1]

جـــمـــعتَ آدابـــاً وفـــضلَ انـــتـــســـابٍ

فـــنـــاعِـــتُـــكُمْ قـــال: مـــا أكـــمَـــلَهْ

****

(١) في "أ"، فلو كان بالفضل.

عود وورد[*]

[من الطويل]

تـبــخَّــرْ بــعــودِ الــطـيـبِ لا زلتَ طـيِّـبـاً
ورشَّ بمـــاءِ الـــزهـــر يـــا خِلّ والــوَردِ[1]

ومـــا بُـــغْــيَـــتي هـــذا ولـــكنْ تـــفـــاؤُلاً
بـــــعَـــــوْدٍ إلى عُـــــودٍ وورْدٍ إلى وَرْدِ[2]

****

(*) رأى الأمير ماء متدفقاً من ناعورة البئر قرب المدينة المنورة، فأعجب به فقال البيتين.

(١) البيتان في "ت"، ص : ٧٠٤، و"ص"، ص : ١٤٣، ١٤٤، ولم تثبتا في "أ" وفي "ت" بحر.

(٢) في البيت حنين الشاعر إلى وطنه، وتفاؤله بالعودة إليه.

مناجاة أُحُد(*)

[من الطويل]

تــذكــرتُ وشْك الــبــينِ قــبل حــلــولهِ
فــجــادتْ عــيــونِي بــالــدمــوعِ عــلى الخــدِّ
وفي الــقــلــبِ نــيــرانٌ تــأجَّج حــرُّهــا
سرتْ في عــظــامي ثم صــارتْ إلى جــلــدِي[1]
ومــالــيَ نــفْسٌ تــســتــطــيعُ فــراقَــهمْ
فــيــالــيتَ قــبل الــبــينِ سارتْ إلى الــلــحْــدِ
إلى الــلَّهِ أشــكُــو مــاألاقِي من الــنــوَى
وحــمــلِي ثــقــيلٌ لا تــقــومُ به الأيــدِي[2]
بــطــيــبــةَ طــاب الــعــيشُ ثم تــمــرَّرَتْ
حلاوتُه فــالــنــحسُ أرْبىَ عــلى الــسعْــدِ[3]
أردّدُ طــرفِي بــين وادي عــقــيــقــهَــا
وبــينَ "قُــبــاهَــا" ثمَّ ألــوِي إلى أُحْــدِ[4]
مــنــازلُ مَن أهــواهُ طــفلاً ويــافــعــاً
وكــهلاً إلى أنْ صــرتُ بــالــشــيبِ في بُــرْدِ

****

(*) الأبيات في "أ"، ص : ٤٢، ٤٣ و"ت"، ص : ٧٠٥، و"ص"، ص : ١٤١، ١٤٢ و"ت"، ص : ٥٦

(١) في "أ"، و"ت" سارت في عظامي.

(٢) في "أ"، و"" من القوى.

(٣) في "ت"، ثم تمر مرت.

(٤) قباها : قباء أصلاً فيها بني أول مسجد في المدينة سمي باسمها.

جنات دُمَّر[*]

[من الكامل]

عُجْ بِي ـ فـــديَـــتُكَ ـ في أبـــاطحِ دُمَّـــرِ
ذات الـــريـــاضِ الـــزاهـــراتِ الـــنـــضَّـــرِ[1]
ذات المـــيـــاهِ الجـــاريـــاتِ عـــلـــى الـــصَّـــفـــا
فـــكـــأنَّـــهـــا من مـــاء نـــهـــرِ الـــكـــوثـــرِ[2]
ذات الجـــــداولِ كـــــالأراقمِ جـــــريـــــهَـــــا
ســـبـــحـــانه من خـــالقٍ ومُـــصـــوِّرِ[3]
ذات الـــنـــســـيمِ الـــطـــيبِ الـــعـــطـــرِ الـــذِي
يُـــغـــنـــيك عن زبَـــدٍ ومـــسْكٍ أذْفـــرِ[4]
والـــطـــيـــرُ في أدواحـــهـــا مـــتـــرنِّمٌ
بـــرخـــيمِ صـــوتٍ فـــاق نـــغـــمـــةَ مـــزْهَـــرِ[5]
مَـــغـــنًى بـه الـــنـــســـاكُ يـــزهـــو حـــالُـــهـــا
مـــا بـــينَ أفـــكـــارٍ وبـــين تـــفـــكُّـــرِ[6]

(*) في دمر إحدى أجمل مصايف دمشق بنى الأمير قصراً يصطاف فيه، وفيه فاضت روحه وارتقى إلى الملأ الأعلى رحمه الله.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٥١، و"ت"، ص : ٦٢٧، و"ص"، ص : ١٦٩، ١٧٠ و"ن"، ص : ٥٩، وعج بي : مل واسترح.

(٢) الصفا : الصخر الأملس، والكوثر نهر في الجنة ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر﴾ الكَوثر ١.

(٣) الأراقم : الحيات.

(٤) زبد : مادة عطرة تستخرج من سنور الزباد. [مسك أَذْفَر: ذكي الرائحة، جيد إلى الغاية] (م)

(٥) في "أ"، و"ت" مزمر. [والمزهر : العود؛ الآلة الموسيقية المعروفة] (م).

(٦) في "أ" يزكو حالها.

مـــاشـــئتَ أن تـــلـــقَى بـــهَـــا من نـــاسكٍ

أوْ فـــاتـكٍ في فــــتـــكـهِ مــــتـــــطــــوِّرِ

أينَ الـــرصـــافــةُ والـــسَّـديــرُ وشـــعبُ بــوَّ

انٍ ... إذا أنـــــصـــــفـــتـــهَــــا من دُمَّـــرِ ؟![1]

****

(١) الرصافة: إما المدينة العراقية أو السورية، وهما مدينتان تمتازان بحدائقهما الغناء، والسدير : قصر من قصور ملوك المناذرة في العراق، قال "المنخل اليشكري" يذكره :

«فـــإذا شـــربـــت فـــإنـــني رب الخـــورنـــق والـــســـديـــر

وإذا صـــحـــوت فـــإنـــني رب الـــشـــويـــهـــة والـــبـــعـــيـــر»

[شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري: ت.د. علي المفضل حمودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي – ط(١) ١٩٩٢]

وشعب بوان : من غوطات فارس، ومن أضخم قصورها في عهد كسرى وهو الذي عناه المتنبي في قصيدته المشهورة بقوله :

«يـــقـــول بـــشـــعب بَـــوّان حـــصـــاني: أعن هـــذا يُـــســـارُ إلى الـــطـــعـــانِ ؟!»

[ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح البرقوقي، تحقيق: د.عمر فاروق الطباع، ٥٥٧/٢، دار الأرقم – بيروت د.ت].

الناعورة العاشقة(*)

[من الطويل]

ونـاعـورةٍ نـاشـدتُـهـا عن حـنـيـنـهَـا
حـنـيـن الـحـوارِ والـدمـوعُ تـسـيـلُ(١)

فـقـالـتْ وأبـدتْ عـذرَهـا بـمـقـالـهـا
ولـلـصـدق آيـاتٌ عـلـيـهِ دلـيـلُ !

ألـستَ تـراني ألـقمُ الـثـديَ لحـظـةً
وأُدفـعُ عـنـهُ والـبـلاءُ طـويلُ(٢)

وحـالي كـحـالِ الـعـشق بـاتَ مـحـالـفـاً
يـدور بـدارِ الحبِّ وهْـو ذلـيلُ(٣)

يـطَـاطئُ حـزنـاً رأسَه بـتـذلُّلٍ
ويـرفعُ أخـرى والـعـويلُ عـويلُ

****

(*) ارتجلها في مأدبة غداء أقيمت على شرفه في حماه، وفي أثنائها استرعت ناعورة انتباهه، وكان ذلك عام ١٢٧٧هـ، ١٨٨٢م.

(١) الأبيات في "ت"، ص : ٦٦٨، و"ص"، ص : ٢٨٣، و"ن"، ص : ٦٠

(٢) الثدي : هنا كناية عن الدلو المملوء بالماء.

(٣) العشق : يقصد العاشق.

وليمة الله!!

[من الطويل]

فـــلم يـــكنِ المـــولى لأكلِ عـــصـــيـــدةٍ
دعــاكمْ ولا لـــلـــجُـــبنِ والخُـــبـــز والخلِّ[1]
ولـــكنْ دعـــاكُمْ لـــلـــحلاوةِ والـــشِّـــوَا
وكلِّ لـــذيـــذ طـــاب من أنـــفَسِ الأكْلِ !

****

(١) البيتان في "أ"، ص : ٥٢، ٥٣. و"ص"، ص : ٢٧١، والعصيدة طعام معروف في الوطن العربي وإن اختلفت مواد عمله بين منطقة وأخرى.

هـ - التصوف

الحمدُ للّهِ

[من الكامل]

الحــمــدُ لــلّهِ الــذي قــد خــصَّــنِي
بـصـفـاتِ كلِّ الـنـاس لا الـنـسـنَـاسِ(1)
الجــودُ والــعــلمُ الــنـفــيسُ وإنَّــني
لأنَـا الـصـبـورُ لـدَى اشـتـدادِ الـبـاسِ
وتحــدُّثي شــكــرًا لـنِـعـمـةِ خـالـقِي
إذْ كـان فِي ضـمْـنِي جـمـيعُ الـنـاسِ(2)

****

(1) الأبيات في "أ"، ص : ٥٢، و"ص"، ص : ٢١٥

(2) ذكر حقي أن الشطر الثاني له رواية أخرى هي : "وهو الذي بي جامع للناس"، منوهًا إلى أنه ورد مضمنًا في قصيدة "الشيخ عبد المجيد الخاني" التي مدح فيها الأمير، والمثبتة في كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر"، ص ٢٢٣ و قد رجعت إلى الكتاب فلم أجد الأبيات في الموطن المحدد، في نسخة «دار اليقظة العربية ١٣٨٤ - ١٩٦٤».

أستاذي الصوفي(*)

[من الطويل]

أمسعودُ ! جاء السعدُ والخيرُ واليُسْرُ
وولَّتْ جيوشُ النحسِ ليسَ لها ذكرُ[١]

ليالِي صدودٍ وانقطاع وجفوةٍ
وهجرانِ ساداتٍ ... فلا ذُكرَ الهجرُ[٢]

فأيامُها أضحت قتَاماً ودجنَةً
لياليَ لا نجمٌ يضيء ولا بَدْرُ[٣]

فراشِيَ فيهَا حشوهُ الهمُّ والضنى
فلا التذَّ لِي جنبٌ ولا التذَّ لِي ظهرُ[٤]

ليالِي أنادِي والفؤادُ متيَّمٌ
ونارُ الجوى تشوِي لما قد حوَى الصدرُ[٥]

أمولايَ ! طال الهجرُ وانقطعَ الصبرُ
أمولايَ ! هذا الليلُ هل بعده فجْرُ؟![٦]

(*) ذكر في "ت"، ص : ٦٩٤، ٦٩٥ أن القصيدة قالها الأمير، بعد أن انقطع إلى العبادة في غار حراء بمكة المكرمة إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى على عادة المتصوفة.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٤٣، ٤٨ و"م"، ص : ١٣٩٨، ١٤٠٢، و"ت"، ص : ٦٩٥، ٦٩٩، و"ص"، ص : ١٨٢، ٢٠٤ .
ومسعود : يريد نفسه تعبيراً عن فرحته، وسعادته للتعرف إلى أستاذه "محمد الفاسي" مقدم الطريقة الصوفية الشاذلية، والذي أخذ عنه التصوف بمكة المكرمة.

(٢) في "أ"، و"م"، و"ت" ولا ذكر. والسادات : عني بهم علماء الصوفية.

(٣) في "م" ليالي نهارها قتام، ورضة. وليلها. القتام : الغبار الأسود. والدجنة : الظلام، والدخنة : الدخان.

(٤) في "م" ليالي بها فراشي قد حشا. وفي "م" فما التذلي.

(٥) في "م" أقول والفؤاد والجوى وقودها ما حوى.

(٦) في "م" وهل بعده.

أغِثْ يـامـغـيثَ المـسـتـغـيـثـين وَالـهـاً

ألمَّ به من بـعـدِ أحـبـابه الـضـرُّ[١]

أسـائلُ كلَّ الخـلقِ هل من مـخـبِّـرٍ؟!

يـحـدِّثني عـنكم فـيـنـعـشَني الخـبْـرُ[٢]

إلى أنْ دَعـتْـني هـمّـةُ الـشـيخ من مـدىً

بـعـيـدٍ ألا فـادنُ فـعـنـدِي لكَ الـذخْـرُ[٣]

فـشـمّـرتُ عن ذيـلِي الإطـارَ وطـار بِي

جـنـاحُ اشـتـيـاقٍ لـيس يُـخـشى له كـسْرُ[٤]

ومـا بـعـدتْ عن ذا المحبِّ تـهـامـةٌ

ولم يـثـنهِ سـهلٌ هـنـاكَ ولا وعْـرُ[٥]

إلى أن أنـخْـنَـا بـالـبـطـاحِ ركـابَـنـا

وحـطَّت بـهـا رحـلي وتمَّ لـهـا الـبـشْرُ[٦]

بـطـاحٌ بـهـا الـبـيتُ المـعـظَّم قـبـلـةٌ

فلا فـخـرَ إلا فـوقه ذلك الـفـخْـرُ

بـطـاحٌ بـهـا الـصـيـدُ الحلالُ مـحـرّمٌ

ومن حـلَّـهـا حـاشـاه يـبـقَى له وِزرُ[٧]

(١) في "م" بيت "أغث يا مغيث..." غير موجود.
(٢) في "م" أسائل من لاقيت هل من منبئ.
(٣) في "م" من ند. و: من بعيد تعال عندنا ذلك.
(٤) في "م"، و"ت" ذيلي الإزار. وفي "م" اشتياقي.
(٥) في "م" وما بعد تهامة عن معنى. ولا ناء عن صب حجاز ولا غور.
(٦) في "م" فلما أنخنا. و: حطت رحالها وتم له السفر.
(٧) في "م" فليس يبقى.

أتـــانـي مـــربِّي الـــعـــارفــــينَ بـــنـــفـــسه
ولا عـــجبٌ فـــالــشـــأنُ أضـــحـى له أمْـــرُ[1]
وقـــال : فـــإني مـــنـــذُ أعـــداد حـــجـــةٍ
لمـنـتـظـرٌ لـقـيـاك يـاأيـهـا الـبـدْرُ ![2]
فـــأنتَ بُـــنَـيَّ مـــذ "ألـــستُ بـــربـــكم" ؟!
وذا الـوقتُ حـقـاً ضـمَّه الـلـوحُ والـسـطْرُ[3]
وجـــدُّك قـــد أعـــطـــاكَ مِنْ قـــدمٍ لـــنـــا
ذخـيـرَتَـكمْ فـيـنـا ويـا حـبـذا الـذخْـرُ ![4]
فـــقـــبَّـــلتُ من أقـــدامه وبـــســـاطه
وقـال : لك الـبُـشْـرى بِـذا قُـضِـيَ الأمـرُ[5]
وألـقَى عـلى صُـفْـرِي بـإكْـسـيـرِ سِـرِّه
فـقـيلَ له : هـذا هـو الـذهبُ الـتـبـرُ[6]
وأعـــني به : شـــيخَ الأنـــامِ وشـــيخَ مَنْ
له عِـــمَّـــة في عـــذبـــةٍ وله الـــصَّـــدرُ[7]
عـــيـــاذِي ملاذي عُـــمـــدتي ثم عُـــدَّتي
وكَـهْـفِي إذا أبـدى نـواجـذَه الـدهـرُ[8]
غـــيـــاثِيَ من أَيـــدي الـــعـــداةِ ومـــنـــقـــذي
مُـنيري مُـجيري عندمَا غمَّني الغمرُ[9]

---

(١) في "م" فالشأن فيه أمر.

(٢) في "م" وقالي :"إني مذ كذا كذا حجة لتنتظر، وأنتم الآن لم تدر"، الحجة : السنة.

(٣) في "م" فأنت نبي. وذا وقت ما تشمن اللوح والسطر.

(٤) في "م" فحدك قد أعطاك حينئذ لنا، ذخيرتكم هنا. الجد : يريد رسول الله (ص).

(٥) في "م" قد قضى.

(٦) في "م" من إكسير. و: فصفري بعد أنه الذهب. الصفر بضم الصاد : النحاس الأصفر.

(٧) في "م" بل شيخ كل من و: بعذبة، وفي "ت" ذي غذبة [والفصيح: عمامة، والعمّة: النوع يقال هو حَسَن العمة] (م).

(٨) في "م" إذا ما أبدى أنيابه الدهر، وفي "أ" نواجزه.

(٩) في "م" البيت :

"ومـــنـــقـــذي من أيـــدي الـــردى ومـــخـــلـــصي

ومــــحـــيِي رفـــاتي بـــعـــد أن كـــنتُ رمَّـــةً
وأكـسَـبـنِي عـمـرًا لـعـمـرِي هـو الـعـمـرُ[١]

مــــحـــمَّـــدُ الـــفـــاسِيْ له من مـــحـــمَّـــدٍ
صـــفيِّ الإله الحـــالُ والـــشِّـــيم الـــغـــرُّ[٢]

بــــفــــرْضٍ وتـــعْـــصِـــيبٍ غـــدا إرثُه لَهُ
هــو الــبــدْرُ بــيِن الأولــيَــا وهمُ الــزهْــرُ[٣]

شَــمـــائـــلُه تـــغـــنـــيكَ إن رمتَ شـــاهـــدًا
هيَ الـروضُ لـكن شقَّ أكـمـامَه الـقـطـرُ[٤]

تَـــضـــوَّع طـــيـــبـــاً كلُّ زهـــرٍ بـــنـــشْـــرِهِ
فما المسكُ؟ ما الكافور ؟ ما الندُّ ؟ ما العطرُ ؟![٥]

ومـــا حـــاتمٌ ؟ قل لي ومـــا حِـــلـمُ أحـــنَفٍ ؟!
ومـا زهـدُ إبـراهـيمَ أدهـمَ ؟! مـا الـصـبـرُ[٦]

صَـــفـــوحٌ يـــغضُّ الـــطـــرف عن كلِّ زلـــةٍ
لـهـيـبـتـهِ ذلَّ الـغـضـنْـفـرُ والـنـمْـرُ[٧]

---

(١) الرفات : حطام الجسد، وبقاياه. و: رمة بكسر الراء وضمها : بقايا عظم الميت.

(٢) في "م" رسول الإله الحال [وقد ذكر الأمير الشاعر شخصية محمد الفاسي كثيراً في كتاب المواقف، وأخذ عنه وكان شيخ الطريقة الشاذلية] (م).

(٣) في "م" الشطر الأول : "بارت بتعصيب وفرض كليهما".

(٤) في "م" البيت

:"ويكفيك شاهدا شمائله التي كأنها رياض شق كمامها القطر".

الأكمام : غلاف رقيق يحيط بالزهر.

(٥) في "م" تفوح طيبا.

(٦) في "م" البيت :

"ومـــا جـــود حـــاتم وحـــلـم أحـــنف وزهـــد أدهم الإمـــام وصـــبـــر"

حاتم : هو حاتم الطائي الشاعر العربي الذي عاش في الجاهلية يضرب به المثل لكرمه، و الأحنف : واحد من حكماء العرب كذلك. و: إبراهيم أدهم : أحد نساك سورية الذي صرف نفسه عن متاع الدنيا عبادة لله وحده.

(٧) في "م" صفوح، سموح، يغضي ذلة وتفضي مهابة له الأسد والنمر.

هشوشٌ بشوشٌ يلقى بالرحبِ قاصداً
وعن مثلِ حبِّ المزْنِ تلقاه يفترُّ
فلا غضبٌ حاشا بأنْ يستفزَّهُ
ولا حدَّة كلا ولا عندهُ ضرُّ[1]
لنا منه صدرٌ ما تكدِّره الدِّلا
ووجهٌ طليق لايزايلُه البشرُ
ذليلٌ لأهل الفقر لاعنْ مهانةٍ
عزيزٌ ولا تيهٌ، لديهِ ولا كِبرُ[2]
وما زهْرةُ الدنيَا بشيء له يُرَى
وليس لها ـ يوماً ـ بمجلسهِ نشرُ[3]
حريصٌ على هديِ الخلائِق جاهدٌ
رحيمٌ بهم بَرٌّ خبير له القدْرُ[4]
كساه رسولُ اللّه ثوبَ خلافةٍ
له الحكمُ والتصريفُ والنهيُ والأمرُ[5]
وقيلَ له : إن شئتَ قل : قدمِي علا
على كلِّ ذي فضلٍ أحاط به العصرُ[6]

---

(١) في "م" أوحده تستفزه، و: صفاته عن أوج الكمال ما تزور.

(٢) في "م" دليل لأهل الفقر، في البيت معنى قوله تعالى : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ . المائدة : ٥٤ .

(٣) في "ت" له ترى. وفي "م" ورد بهذه الصورة:

"لديه شيء لا
ولا لها يوما في مجالسه ذكر نشر".

(٤) في "م" في البيت :

"حريص على هداية الخلق جاهدا
رحيم بهم كأنه الوالد البر"

وفي البيت معنى الآية : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ . التوبة : ١٢٨

(٥) في "م" والنفع والضر.

فــذلك فــضلُ الــلّه يــؤتــيهِ منْ يــشَــا
وليس على ذي الفضلِ حصرٌ ولا حَجْرُ[١]

وذا وأبــيكَ الــفــخــرُ، لافــخـــرُ من غــدا
وقد ملَك الدنيا وساعدَه النصْرُ ![٢]

وهـــذا كـــمـــالٌ، كَلَّ عن وصفِ كُـــنْـــهه
فمنْ يدَّعي هذا فهذا هو السِّرُّ[٣]

أبـــو حـــسَنٍ لـــو قـــدْ رآه أحـــبَّهُ
وقال له : أنتَ الخليفةُ يا بحرُ ![٤]

ومـــا كلُّ شـــهمٍ يـــدَّعي الـــسبقَ صـــادقٌ
إذا سِيقَ للميدان بَانَ لهُ الخسرُ[٥]

وعــنــد تجــلّي الــنــقعِ يــظــهــرُ من عَلا
على ظهْرِ جرْدَبْلٍ ومن تحته حُمْرُ[٦]

ومـــا كلُّ من يـــعــلُـــو الجـــوادَ بـــفــارسٍ
إذا ثار نقعُ الحرب والجوُّ مغْبَرُ[٧]

فـــيـــحـــمِي ذمـــارًا يـــوم لاَ ذُو حَـــفـــيـــظـــةٍ
وكلُّ حماةِ الحيِّ من خوفهمْ فرُّوا[٨]

---

(١) في "م" وذلك. و: فما على فضل الله حظر ولا حجر. وفيه معنى الآية : ﴿فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. الجمعة : ٠٤

(٢) في "م" هذا وأبيك.

(٣) في "م" البيت :

"فـهـذا هـكـذا الـكـمـال وإلا لا   فـمن يـدعي الـكـمـال هـذا هـو الـسـر".

(٤) في "م" الخليفة لاغير.

(٥) في "م" البيت :

"ومـا كل مـدع الخلاقـة صـادقـاً   إذا سـيق لـلـمـسـيـار بـان له والحـر".

(٦) في "م" البيت :

وعـنـدمـا يـتـجـلى الـغـبـار تـبـدأ من   عـلى هـر أجـرد ومن تحـته غـيـر".

النقع : الغبار. والجردبل : الفرس القوي. والأجرد : فرس قصير الشعر، والحمر : جمع حمار : العير.

(٧) في "م" من ركب. و: إذا حمي الوطيس.

(٨) في "م" فيحمى الزمان. و: يحام وكل شجعان الحي قد فروا.

ونــادَى ضــعـيفُ الحيّ من ذا يُـغـيـثـنِي ؟!
أمـا من غـيـورٍ؟! خـانـني الـصـبـرُ والـدهـرُ[1]

ومـــا كلُّ ســيفٍ ذو الــفــقـــارِ بـــحـــدِّهِ
ولا كلُّ كـــرَّارٍ عـــلـــيًّـــا إذا كـــرُّوا[2]

ومـــا كلُّ طــيــرٍ طـــار في الجـــوِّ فـــاتــكـاً
ومـا كلُّ صـيَّـاحٍ إذَا صـرْصـرَ الـصّـقْـرُ[3]

ومـــا كلُّ من يُـسْــمى بــشــيخ كـمِـثــلهِ
ومـا كلُّ مَن يُـدْعى بـعـمْـرٍو إذاً عـمْـرُو[4]

وذا مَـــثَلٌ لـــلـــمـــدَّعِـــين ومن يـــكنْ
عـلى قـدمٍ صَـدقٍ طـبـيـبـاً له خـبْـرُ[5]

فلا شـــيخَ إلا من يـــخـــلِّص هـــالــكـاً
غـريـقـاً يـنـادي : قـد أحـاط بي المـكْـرُ[6]

ولا تــســألنْ عن ذي المــشــائخِ غــيــر مَنْ
له خِـبـرةٌ فـاقتْ ومـا هـو مُـغْـتـرُّ[7]

تـــصـــفَّحَ أحـــوالَ الـــرجـــالِ مـــجـــرِّبـــاً
وفي كلِّ مـــصـــرٍ بل وقـــطـــرٍ له أمْــرُ[8]

---

(١) في "م" فإنني في أيدي العدا فلا يدي أسر.

(٢) في "م" كل فارس. ذو الفقار : سيف علي بن أبي طالب [علياً. كذا وردت، والوجه أن يقال: عليٌّ] (م).

(٣) في "م" فلا طير صارح إذا صرصر الصقر.

(٤) في "م" من تسمى بالشيخ هو ذا. و: من يدعي عمدا ذا عمر. وفي "ت" ولا كل عمرو : أراد عمرو بن العاص [وأرجح أن يكون المقصود عمرو بن معد يكرب، وقد ضربت العرب به المثل كقول أبي تمام:

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم … في حلم أحْنفَ في ذكاء إياس

قال التبريزي في شرح ديوانه: هو عمرو بن معد يكرب، وضُرِب المثل بسيفه الصمصامة فقيل: صمصامة عمرو] (م).

(٥) في "م" فهذا أمثال المدعين.

(٦) في "م" غدا وقد أحاط به.

(٧) في "م" عن المشائخ و: فاقت بالأمر ماهو.

(٨) في "م" منهل ومصر.

فـأنـعمْ بمـصـرٍ ربَّتِ الـشـيخ يـافـعـاً
وأكـرِمْ بـقُـطْـرٍ طـارَ مـنه له ذكْـرُ[١]
فـمـكَّـة ذي خـيـرُ الـبلادِ فـديـتُـهـا
فمَا طاولـتْهَا الشمسُ - يوماً- ولا النسْرُ[٢]
بـهـا كـعْـبـتـانِ : كـعـبـةٌ طـاف حـولـهَا
حـجـيجُ الملا بلْ ذاكَ عـنـدهمْ الـظَّـفْـرُ[٣]
وكـعـبـةُ حـجَّـاج الجـنَـابِ الـذي سـمَـا
وجلَّ فلا ركْنٌ لـديـهِ ولا حِـجْـرُ[٤]
وشـتَّـان مـا بـينَ الـحـجـيـجَـيْنِ عـنـدنَـا !
فـهـذَا له مـلْكٌ وهـذا له أجْـرُ ![٥]
عـجـبتُ لـبـاغِي الـسـيـرِ لـلـجـانبِ الـذِي
نـقـدِّس ممَّـا لا يـجـدُ لهُ الـسَّـيْـرُ[٦]
ويُـلْـقِي إلـيه نـفـسهُ بـفـنـائهِ
بـصـدقٍ تـسـاوَى عـنـدهُ الـسـرُّ والجـهْرُ[٧]
فـيـلـقى مـنـاخَ الجـودِ والـفـضلِ واسـعًـا
ويـلـقَى فراتًـا طـاب نـهلاً فَـمـا الـقـطْرُ ؟![٨]

---

(١) في "م" البيت :

"فـنـعم الـبلاد ربت الـشـيخ يـافـعـاً وخـيـر الـبلاد صـار مـنـهـا له ذكـر".

(٢) في "م" فمكة خير بلدة خير بقعة. وما طاولتها [النسران كوكبان في السماء؛ وهذا هو المعنى المقصود] (م).

(٣) في "م" وأنا ذاك.

(٤) في "م" حجر: أراد الحجر الأسود، وقد سكن الجيم لضرورة الوزن، وهو مباح للشاعر. [والحِجر (بكسر الحاء وسكون الجيم) الحائط المستدير من جهة الميزاب، وكلام الأمير هنا يجري على منهج الصوفية] (م).

(٥) في "م" عندما.

(٦) في "أ" لم لا يجد. في "م" تقدس كيف لا يحد به. في "ت" تقدس سرا.

(٧) في "م" إليه ويلقى.

(٨) في "م" فراتاً طاب ورده والصدر.

ويـــلــقَى ريـــاضـــاً أزهَـــرتْ بمــــعـــارفٍ

فـيـا حـبَّـذا المـرأى ! ويـاحـبَّـذا الـزهْـرُ !

ويـلـقَى جـِنـانًـا فـوق فِـردوسِـهَـا الـعُلا

ومـا لجِـفـانِ الخـلْـدِ إن عـبَـقتْ نـشْـرُ

ويـــشــربُ كــأسًــا صـــرفــةً من مُـــدامــةٍ

فـيـا حـبَّـذا كـأسٌ ! ويـاحـبَّـذا خـمْـرُ ![1]

فلا غَـــوْلَ فـيـــهـــا لا ولا عـنـــهـــا نــزفــةٌ

ولــيسَ لــهــا بــردٌ ولــيسَ لــهَــا حَـــرُّ[2]

ولا هُـــوَ بــعـــد المـــزْجِ أَصْــفَـــرُ فـــاقعٌ

ولا هُـــوَ قــبل المـــزجِ قـــانٍ ومــحْــمَــرُ[3]

مــعــتَّــقــةٌ من قــبلِ كِــســرى مَــصــونــةٌ

ومـــاضـــمَّــهـــا دنٌّ ولانـــالـــهَـــا عـصْــرُ[4]

ولا شـــانَـــهـــا زِقٌّ ولا ســـارَ ســـائـــرٌ

بــأجْــمــالــهَــا كلاً ولا نــالَــهــا تَــجْــرُ[5]

فــلـــو نـــظـــرَ الأملاكُ خـــتمَ إنـــائـــهَـــا

تــخـــلَّـــوْا عنِ الأملاكِ طـــوعــاً ولا قَـــهْــرُ[6]

ولـــو شـــمَّتِ الأعلامُ في الـــدرسِ ريـــحَـــهـــا

لمـا طـاشَ عن صـوبِ الـصـواب لـهـا فِـكرُ[7]

---

(١) في "م" فيشرب. وفي البيت الآتي : وليس بها، في "م"، و"ت"، والغول من غالية الخمر : إذا أفسدت عقله، وذهبت به.

(٢) استفاد الشاعر من الآية الكريمة: ﴿لا فِيها غَوْلٌ ولا هُمْ عنها يُنْزَفُون﴾ الصافات ٤٧. والشاعر يتحدث عن خمرة الصوفية المعنوية (م).

(٣) في "م" قان محمر.

(٤) في "م" ولا ضمها.

(٥) في "م"،

"زق ولا حـــــدا حـــــــادي بـأحـمـالـهـا ولا تـمـلـكـهـا الـتـجـر".

(٦) في "م" فلو رأت. و: تخلت عن. وكذلك في "أ" و"ت".

فيا بُعدهمْ عنها ! ويابئسَ مارضُوا !
فقدْ صدَّهمْ قصدٌ وسَيَّرَهُمْ وزرُ[1]
هي العلمُ كلُّ العلمِ والمركزُ الذي
به كلُّ علمٍ، كلَّ حين له دوْرُ
فلا عالمٌ إلاَّ خبيرٌ بِشرْبها
ولا جاهلٌ إلا جهولٌ بها غِرُّ
ولا غبنَ في الدنيا ولا من رَزِيئةٍ
سوَى رجُلٍ عن نيلهَا حظُّه نزرُ[2]
ولا خُسْرَ في الدنيا ولاهو خاسرٌ
سوَى وَاله والكفُّ من كأسِها صِفرُ[3]
إذا زمْزم الحادِي بذكْرِ صفاتها
وصرَّحَ ماكنَّى ونادَى نأىَ الصَّبرُ[4]
"وقال : اسقني خمرًا وقل لي : هيَ الخمرُ
ولا تَسْقِني سرًّا إذَا أمكَن الجهرُ»
"وصرحْ بمن تهوَى ودعنِي من الكُنَى
فلا خيرَ في اللذاتِ من دونِها ستْرُ»[5]
ترى سائقيهَا كيف هامتْ عقولُهمْ
ونازلهمْ بسطٌ وخامرهمْ سكْرُ[6]
وتاهُوا فلم يَدْرُوا منَ التيهِ مَنْ هُمُ
وشَمْسُ الضحَى من تحتِ أقدامهمْ عفْرُ
وقالوا : فمنْ يُرجَى من الكون غيَرُنا ؟!
فنحنُ ملوكُ الأرضِ لا البيضُ والحمْرُ[7]

(١) في "م" عماهم قعدوا له. و: فقصدهم قصد. وكذلك في "ت".
(٢) في "م" فلا. و: لا هو مغبون. و: رجل من شربها.
(٣) في "م" سوى من غدا.
(٤) في "م" ما كنى لا خوف ولاحذر.
(٥) البيتان لأبي نواس والأول منهما هو مطلع القصيدة «ألا فاسقني خمراً» [ديوان أبي نواس، شرحه وضبطه: د.عمر فاروق الطباع. دار الأرقم - بيروت ١٩٩٨ - ص٢٢٢].
(٦) في "م" ترى الذائقين منها هامت. وأيضا في "أ" و"ت".
(٧) في "م" البيت :
"قالوا : من الذي له الملك غيرنا ! فنحن الملوك لا سودان ولا حمر"

تـمـيـدُ بـهمُ كـأسٌ بـهـا قـد تـولَّـهُـوا

فـلـيسَ لـهمْ عـرفٌ ولـيسَ لـهمْ نـكْـرُ[1]

حـيـارَى... فلا يـدرونَ أين تـوجَّـهُـوا

فـلـيسَ لـهمْ ذكـرٌ ولـيسَ لـهمْ فـكْـرُ[2]

فـيـطـربـهمْ بـرقٌ تـألقَ بـالحـمى

ويُـرقـصـهمْ رعـدٌ بـسـلْعٍ له أزْرُ[3]

ويـسـكـرهمْ طـيبُ الـنـسـيمِ إذا سـرَى

تـظنُّ بـهمْ سـحـراً ولـيس بـهم سـحْـرُ[4]

وتـبـكـيـهمُ وُرْقُ الحـمـائم في الـدجَى

إذا مـا بـكتْ مَن لـيس يُـدْرى له وكْـرُ[5]

بـحـزنٍ وتـلـحـينٍ تجـاوبـتَـا بمَـا

تـذوبُ له الأكـبـادُ والجـلـمـدُ الـصـخْـرُ[6]

وتـسـبـيـهمُ غـزلانُ رامـةَ إن بـدَتْ

وأحـدَاقُـهـا بـيضٌ وقـامـاتُـهـا سُـمـرُ[7]

وفي شـمِّـهـا حـقًّـا بـذلـنـا نـفـوسـنَـا

فـهـانَ عـلـيـنـا كلُّ شيء له قـدْرُ[8]

ومِـلـنَـا عن الأوطـانِ والأهلِ جـمـلـةً

فلا قـاصـراتُ الـطرفِ تـثـنِي ولا الـقـصْـرُ[9]

(١) في "م" بهم أفراحهم. و: فمالهم.
(٢) في "م" فمالهم. و: ومالهم.
(٣) في "م" له أزر [والأزر هنا: القوة والشدة] (م).
(٤) في "م" نسيم بحد. و: وما بهم.
(٥) في "م" بالدجى. و: له وكر [واخترنا رواية التحفة والمواقف].
(٦) في "م" تجاوب تلك هذه بتخزن،. الجلمد : الصخر، الحجر.
(٧) في "م" وأحدقها نبل، وأجيادها سمر [رامة موضع في طريق البصرة إلى مكة. ويذكرها الشعراء كثيراً. وهناك مواضع أخر باسم رامة] (م).
(٨) في "م" وفي شم ريحها. و : فهانت وهان كل شيء.
(٩) في "م" الطرف غنت، وفي البيت معنى قوله تعالى : ﴿وعِندَهُمْ قاصِراتُ الطَّرفِ عِينٌ﴾. الصافات : ٤٨ .

ولا عنْ أُصَــيْــحَــابِ الــذوائبِ من غــدتْ

ملاعــبــهمْ مــنِّي : الــتــرائبُ والــنــحْــرُ[1]

هــجــرنَــا لــهــا الأحــبــابَ والــصــحبَ كــلَّــهمْ

فــمَــا عــاقــنَــا زيــدٌ ولا راقــنَــا بــكْــرُ[2]

ولا ردَّنــا عــنــهــا الــعــوادِي ولا الــعــدَا

ولا هــالــنَــا قــفــرٌ ولاراعــنَــا بــحْــرُ

وفــيــهــا حلا لي الــذلُّ من بــعــد عــزَّةٍ

فــيَــا حــبــذَا هــذا ولــو بــدؤُه مُــرُّ[3]

وذلــكَ مــن فــضــلِ الإلــهِ ومَــنِّــه

عــليّ فــمــا لــلْــفــضلِ عــدٌّ ولا حــصْــرُ[4]

وقــدْ أنــعمَ الــوهــابُ فــضلاً بــشــربــهَــا

فــلــلّــه حــمــدٌ دائمٌ ولــهُ الــشــكْــرُ

فــقلْ لمــلــوكِ الأرض : أنــتــمْ وشــأنــكمْ

فــقــســمــتــكمْ ضِــئْــزى وقــســمــتُــنــا كــثْــرُ[5]

خــذِ الــدنــيــا والأخــرَى؛ أبــاغــيــهــمــا مــعــاً

وهــاتِ لــنــا كــأســاً فــهــذَا لــنــا وفــرُ !![6]

جــزَى الــلّــه عــنَّــا شــيــخــنــا خــيــرَ مــا جــزَى

بــه هــاديًــا فــالأجــرُ مــنــه هــو الأجــرُ

أمــولايَ ! إنِّي عــبــدُ نــعــمــائكَ الــتي

بــهــا صــارَ لي كــنــزٌ وفــارقــني الــفــقــرُ[7]

---

(١) في "م" عن أصحاب الذوائب غلمان. الذوائب : ضفائر الشعر، وذوائب القوم : طلائعهم.

(٢) في "م" ولا راعنا بكر.

(٣) في "م" عزتي. و: ولو في أوله.

(٤) في "م" من من الإله وفضله.

(٥) في "م" للملوك شأنهم وما رمتم. والبيت تضمن معنى قوله سبحانه : ﴿تِلْكَ إِذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾. النجم : ٢٢ . [قرئ: ضيزي بالياء وضئزى (بالهمز؛ قرأ بها ابن كثير) والمعنى: جائرة عن العدل] (م).

(٦) في "م" نعم لنا.

(٧) في "م" إني عبد نعمائك. و: بها صح له الغنا.

وصـرتُ مـلـيـكًـا بـعـدمَـا كـنتُ سـوقـةً

وسـاعـدنِي سـعـدٌ فـحـصـبَـاؤُنـا درُّ[1]

أمــــولايَ ! إنِّي عـــبـــدٌ بـــابك واقفٌ

لـفـيْـضكَ مـحـتـاجٌ لجـودكَ مـضـطـرُّ[2]

فَـمُـرْ أمـرَ مَـوْلًى لـلـعـبـيـد فـإنـنِي

أنـا الـعـبـدُ ذاكَ الـعـبـدُ لاالخـادمُ الحـرُّ[3]

هـنـيـئًـا لـنـا يـا مـعـشـرَ الـصـحبِ ! إنـنَّا

لـــنـــا حـــصنُ أمنٍ لـــيس يـــطـــرقُه ذُعْــرُ

فـنـحنُ بـضـوءِ الـشـمسِ والـغـيـرُ في دجًى

وأعـــيـــنـــهمْ عُـــميٌ وآذانـــهمْ وقْـــرُ[4]

ولا غـــروَ في هـــذا وقـــد قـــال ربُّـــنـــا :

تـــراهمْ: عـــيـــونٌ يـــنـــظـــرونَ ولا بـــصْـــرُ[5]

وغـيمُ الـسَّـمـا مـهـمـا سـمـا هـانَ أمـرُهُ

فـلـــيس يُـــرَى إلاَّ لمن ســـاعـــدَ الـــقَـــدْرُ[6]

ألاَ فـــاعـــمـــلُـــوا شـــكـــرًا لمنْ جـــاد بـــالـــذي

هـــدانَـــا ومن نَـــعـــمـــائِه عـــمَّـــنـــا الـــيُـــسْـــرُ

وصـــلُّـــوا عـــلـى خـــيـــرِ الـــورَى خـــيـــرِ مـــرسلٍ

وروح هــــداةِ الخــــلق حــــقّــــاً وهمْ ذَرُّ[7]

عـــلـــيـــهِ صلاةُ الـــلّـــه مـــا قـــال قـــائلٌ :

أمـسـعـودُ ! جـاء الـسـعـدُ والخـيـرُ والـيـسْرُ!

****

(١) السوقة: الرعية تسوسها الملوك (م).

(٢) في "أ"، و"ت" لجدواك.

(٣) في "م" فمرني كما يكون للعبد من مولى.

(٤) في "م" في ضوء. و: في آذانهم.

(٥) في "م" فقد قال. و: تراهم ينظرون ليس لهم بصر.

(٦) في "م" ونجم السما. و: ساعده.

(٧) في "م" الخلق مذوهم در.

غـيـب

[من الطويل]

أيــا نــفسُ إن الأمــرَ غــيبٌ فــمــا تــدرِي
بماذا يـكـونُ الـكـشفُ في آخـرِ الـعـمـرِ[1]
فــإمَّــا بــشــيــرٌ بــالــلــقــاءِ وبــالــرضَى
عـلى طـولِ عـتبٍ بـالـزيـارةِ لـلـزورِ[2]
وإمَّـــا بـــضـــدٍّ بلْ ولاكـــانَ ضـــدُّ ذا
تــعــالَى إلــهِي عن عــذابِي وعن ضــرِّي
ولـــــيــسَ تـلافٍ بـل ولا ردُّ فـــــائتٍ
هـنـاكَ ولا يـجـدِي سـوَى الجـبـرِ لـلـكَسْرِ
ألـيس لـهـذَا الخـطبِ ـ ويـحكَ ـ شـاغلٌ
عنِ الأهل والأصـحـابِ زيـدٍ وعن عَـمْـرِو
أيـا سـامعَ الـشـكـوَى ! ويـادافعَ الـبلا !
ويـا مـنـقـذَ الـغـرقَى ! ويـاواسعَ الـبـرِّ !
تَــجــهْتُ لــكمْ وجــهِي بــأكــرمِ شــافعٍ
مـحـمـدٍ الْـمـبَـعُـوثِ لـلـعـبـدِ والحـرِّ
لــتــرسلَ لِي عــنــدَ الــوفــاةِ مــبــشــراً
بــرضــوانِك الأوفَى وفــوزِيَ في الحــشْــرِ

****

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٤٠ و"ص"، ص : ٢٠٤، ٢٠٥ الأمر : الآخرة.
(٢) الزور : الذي يزور.

مسكين... لم يذق طعم الهوى

[من البسيط]

أوقــــاتُ وصـــــلـــكمُ عـــيـــدٌ وأفـــراحُ
يـــا من هُمُ الــرُّوح لـي والـــرَّوحُ والـــراحُ[1]
يـا منْ ! إذا اكـتـحـلتْ عـيـنِي بـطـلـعـتـهمْ
وحـقـقتْ في مـحـيَّـا الحـسْنِ تـرتـاحُ[2]
دَبَّتْ حـــمـــيَّـــاهُمُ في كل جَــوهــرةٍ
عـــقل ونـــفس وأعـــضـــاء وأرواحُ[3]
فـــمَـــا نـــظـــرتُ إلى شيء بـــدَا أبـــداً
إلا وأحـــبـــابُ قـــلـــبِي دونهُ لاحُـــوا[4]
نـــظـــرتُ حـــسنَ الـــذي لا شيء يـــشـــبـــهُهُ
فـــمـــا يـــروقُ لـــقـــلـــبِي بـــعـــدُ ملاحُ[5]
ولـــيسَ في طـاقـتِي الـرؤيَـا لـغَـيْـرهمُ
ولـو قَـلَـتـني الـورَى في ذاكَ أو شـاحُـوا[6]
غـــرقتُ في حـــبـــهمْ دهـــرًا ألم تـــرَنِي
في بـــحـــرهـمْ سـفنٌ ـ حـقًّـا ـ ومَلاَّحُ ؟![7]

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٤٩، ٥٠ و"م"، ص : ١٦، ١٧ و"ص"، ص : ١٢٥، ١٢٩ و: الروح : الراحة، والراح : الخمرة.
(٢) في "م" وخففت.
(٣) في "م" في كل جوهرة حمياهم، الحميا : ما تتركه الخمرة من أثر في الجسم، وفي القافية إقواء.
(٤) في "م" أبدا إلى شيء بدا.
(٥) في "م" فلا يروق.
(٦) في "م" لطاقة. و: لذاك. قلتني : هجرتني [يقال: أشاح بوجهه: نحّاه، وأعرض، والفعل مزيد بالهمزة] (م).
(٧) في "م" دهرا وها أنذا [حق كلمتي (سفن وملاح) النصب. ولابد من التأويلات البعيدة لقبول النص على حاله] (م).

مــاذا عــلى مَن رأى ـ يــومًــا ـ جــمــالَــهمُ
أنْ لــيسَ تــبــدُو له شــمسٌ وإصــبــاحُ
جــبــالُ مــكــةَ لــو شــامتْ مــحــاسنَــهمْ
حنُّوا ومنْ شوقهمْ ناحُوا وقدْ صَاحُوا[١]
شــهْبُ الــدرارِي مــدى الأيــامِ ســابــحــةٌ
لــو أبــصــرْتَــهمْ لمــا جــاؤوا ولا راحُــوا[٢]
لــو كــنتُ أعــجب من شيءٍ لأعــجــبــنِي
صــبــرُ المحــبــينَ : مــا نــاحُــوا ولا بــاحُــوا
أريــدُ كــتمَ الــهــوى حــيــنــاً فــيــمــنــعُــنِي
تــهــتــكِي كــيفَ لاَ ؟! والحبُّ فــضَّــاحُ
لاشيءَ يــثــنِي عــنــانِي عن مــحــبَّــتــهمْ
ولا الــصــوارمُ في صــدرِي وأرمــاحُ[٣]
قــال الــعــواذلُ : فــيكَ الــســحــرُ قــلت لــهمْ :
نــعم ! ولي صــحــةٌ فــيــهِ وإصْلاحُ[٤]
لا زالَ يــربُــو مع الأنّــاتِ بِي أبــدًا
فــلِي بــه بــين أهلِ الحبِّ أمْــداحُ[٥]
يــاعــاذلِي ! كنْ عــذيــرِي في مــحــبــتــهمْ
فــإنَّ قــلــبي بمــا يــهــواهُ مــشــحَــاحُ[٦]
إنَّ المــلام لإغــراءٌ وتــقــويَــةٌ
مــهلاً ! فــإنكَ مــكــثــارٌ ومــلــحَــاحُ[٧]

(١) في "م" أجبال، و:رأت محياهم. وشام : أبصر، وتبع الشيء بعينيه.
(٢) في "م" مدى الزمان.
(٣) مجرى الكلام: «ولا الصوارم الموجهة إلى صدري ولا الأرماح» وقد عطف الشاعر النكرة على المعرفة، ولم يكرر لا النافية التي يَحْسنُ الكلام بها. (م)
(٤) في "م" قال العذول بكم سحر، فقلت لهم، وذا السحر صحة.
(٥) في "م" أهل العشق [«أمداح» ترد عند الأندلسيين والمغاربة لمعنى مدائح. وهي غير معجمية] (م).
(٦) في "م" تهواه. وأيضا في "أ".
(٧) في "م" وتقوية.

إنـي لأهـــجــــرُ خـلاً لايـــحـــدِّثــــنِي
عــنــهمْ وتحْــرمُ في الــتــوراةِ ألــواحُ[1]

شـــرعُ المحـــبـــةِ قـــاضٍ في حـــكـــومـــتهِ
بـــصـــرْمِ خلٍّ من الأشـــجـــانِ يـــرتـــاحُ[2]

مـسـكـينُ ! مـا ذاقَ طـعمَ الـعـشقِ مـنـذ بـدَا
ولا اســتــفــزَّتْه من لــقـــمـــانَ أرواحُ[3]

فـمَــا نــديمِي بـحَـانِ الأنسِ غـيــرُ فـتًى
لـه لأخـــبـــارِهمْ نـــشـــرٌ وإيـــضـــاحُ[4]

لا كـــــسبَ لِي بلْ ولا شــــغلٌ ولا عـــملٌ
فـــفِي حـــديـــثـــهمُ تجْـــرٌ وأربـــاحُ[5]

مـا جـنَّـةُ الخـلـدِ إلا في مـجـالـسـهمْ
فـــيـــهَـــا ثـــمـــارٌ وأطـــيـــارٌ وأرواحُ

هـوَى المحبِّ لـدى المحـبـوبِ حـيث ثـوَى
وكـــيـــفَـــمَـــا راحَ هـــبَّتْ مـــنهُ أرواحُ[6]

أودُّ طـــولَ الـــلـــيـــالِي إن خـــلـــوتُ بـــهمْ
وقــــدْ أدِيـــــرتْ أبـــــاريقٌ وأقــــداحُ[7]

---

(١) في "م" عنهم وماله من توراتي. وفي "أ" ويحرم من توراتي ألواح.

(٢) في "م" غدا من شجوني.

(٣) في "م" الشطر الثاني : "في ذاق من جملة الأنعام سراح. روح لقمان : هو الأمونياك يشمم منه المغمى عليه ليستفيق. وبعد البيت يأتي بيتان في "م" و"أ"، وهما :

"مـا بـات يـرعى الـنـجـوم سـاهـرا قـلـقـا
أسـاود الـشـوق في أحـشـائه طـاحـوا

مـادب في عـظـمه خـمـر الـهـوى أبـدا
«ولا يـشـجـه من سـعـاد أرواح»؟

وفي "أ" و"فذاك من جملة الأنعام سراح".

(٤) في "م" ولا سميري بحان.

(٥) في "م" لي غير موجود.

(٦) في "م" أدواح.

(٧) في "م" أين ثوى. و: يرتاح مهما تهب. الخلوة، والأقداح، والأباريق : ترمز إلى معاني صوفية صرفة.

يَــرُوعُــني الــصــبحُ إن لاحتْ طلائــعُهُ

يــالــيــتَه لم يــكنْ ضــوءٌ وإصــبــاحُ!

لـيـلِي ! بـدا مـشـرِقًـا من حـسنِ طـلـعـتـهمْ

وكلُّ ذا الــدهــرِ أنــوارٌ وأفــراحُ[1]

أُسْـكُنْ فـؤادِي ! وطبْ نـفـسًـا وقـرَّ لـقـدْ

بـلـغتَ مـارمتَ قـرَّ الـنـاسُ أو سـاحُـوا[2]

واطــلبْ إلــهكَ مــاتــرجُــو فــإنَّ لهُ

خـزائــنًــا مــالــهــا قــفلٌ ومـفـتـاحُ[3]

****

(١) في "م" ليله بدا مشرق. و: الدهر كله أنوار.

(٢) في "م" وقرنا عما شاكر.

(٣) في "م" إلهك في المزيد. و: خزايناً [وصرف «خزائن» للضرورة] (م).

أنا الحب والمحبوب والحب جملة

[من الطويل]

عن الحُبِّ مــالي كـلَّـمَـا رمتُ سـلـوانَـا
أرَى حشْوَ أحشائِي من الشوقِ نيرانَا ؟[1]

لـواعجُ لـو أنَّ الـبـحـارَ جـمـيـعَـهـا
صَبَبْنَ لكانَ الحَرُّ أضعافَ ماكانَا[2]

تـئِجُ إذا مـا نجْـدُ هبَّ نـسـيـمُـهَـا
وتـذكُـو بـأرواحٍ تـنـاوحُ ألـوانَـا[3]

فـلـو أنَّ مـاءَ الأرض طـرّاً شـربـتُهُ
لَمَـا نـالـنِي ريٌّ ولا زلتُ ظـمـآنَـا

وإن قلتُ ـ يومًا ـ قدْ تدانتْ ديارنَا
لأسلو عنهمْ زادنِي القربُ أشجانَا

فـمـا الـقـربُ لي شـافٍ ولا الـبـعـدُ نـافعٌ
وفي قُربـنَـا عـشقٌ دعـانِي هـيـمـانَـا[4]

وفي بـعـدنَـا شـوقٌ يـقـطِّع مـهـجـتِي
كـتـقـطيعِ بـيتِ الشِّعر للنظمِ ميزانَا[5]

فـيـزدادُ شـوقِي كـلـمَـا زدتُ قـربـةً
ويـزدادُ وجـدِي كـلـمَـا زدتُ عـرفـانَـا

---

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٥٠، ٥١ و: "ص"، ص : ٢٩٩، ٣٠١

(٢) اللاعج : حرقة الحب.

(٣) في "أ" تأج. و: تناوخ. و: بئج : تتوقد وتزفر. و: أرواح : رياح. وتذكو : تزداد اشتعالا.

(٤) هام في الحب: سار على غير بصيرة ودراية.

(٥) أراد أن الشوق قطع مهجته كما يقطع البيت الشعري إلى تفعيلات، أي إلى أجزاء.

فـيـا قـلـبِيَ المجـروح بـالـبـعـدِ والـلـقَـا !
دواكَ عـــزيـــزٌ لـــستَ تـــنـــفكُّ وَلـــهـــانَـــا
ويـــا كـــبـــدِي ذوبي أسًى وتحـــرُّقـــاً !
ويـــا نـــاظـــرِي ! لا زلت بـــالـــدمع غَـــرقـــانَـــا
أســـائلُ عن نـــفـــسِي فـــإنِّي ضـــلَـــلْـــتُـــهـــا
وكـــان جـــنـــونِي مـــثلَ مـــا قِـــيل : أفـــنَـــانَـــا
أســـــائلُ مَنْ لاقـــيــتُ عـــــنِيَ والــــهـــــاً
ولاَ أتحـــاشـــاهـمْ : رجـــالاً ورُكـــبَـــانَـــا
أقـــولُ لـــهمْ : من ذا الـــذِي هـــو جـــامـــعِي
ويـــأخـــذنِي عـــبـــدًا مـــدَى الـــدهـــر حـــلـــوانَـــا
وأســـــألُ عن نجـــدٍ وفــــيـهِ مـــــخـــــيَّـــــمِي
وأطـــلـــبُ روضَ الـــرقـــتـــين ونَـــعـــمـــانَـــا[1]
مـــنـــازلُ كـــانتْ لي مـــصـــيـــفـــاً ومـــربـــعـــاً
غـــداةَ بـــهَـــا أُدْعى صـــبـــيّـــاً وشـــيـــبَـــانَـــا
ومن عـــجبٍ مـــا هِـــمْتُ إلا بمُـــهـــجـــتِي
ولا عـــشـــقتْ نـــفـــسِي ســـواهَـــا ومـــا كـــانَـــا
أنـــا الحُبُّ والمحـــبـــوبُ والحُبُّ جـــمـــلـــةً
أنـــا الـــعـــاشقُ المـــعـــشـــوقُ ســـرًّا وإعلانَـــا[2]

****

(١) «نجد» و«الرقّتان» و«نعمان» مواضع ذكرها شعراء الغزل كثيراً في العصور المختلفة. واستفاد منها الشاعر في العشق الصوفي الذي طوع لنفسه أدوات أغراض شعرية متعددة (م).

(٢) البيت أدى معنى وحدة الوجود عند المتصوفة بحسب وجهة نظر "ابن عربي" أحد أئمتهم.

أي واد صبحوا

[من الرمل]

لـــيــتـــهمْ إذْ مــــلــكــوني أســجــحُــوا !

لــيــتــهمْ إذْ مــا عــفَــوْا أن يــصــفــحُــوا[1]

رَحَّــلُــوا الـــعــيسَ ولم أشـــعْــر بـــهمْ

لـــيتَ شـــعـــرِي أيَّ وادٍ صَـــبَّـــحُـــوا ؟!

أخـــذُوا قـــلـــــبِي ومـــــاذَا ضــــرَّهمْ

أن يــكــونُــوا بــجــمــيــعِي جــنــحُــوا ؟!

أيُّ عـــيشٍ يـــهـــنَـــا لِي من بـــعـــدهمْ ؟!

طـــارَ قــلــبِي وعــظــامِي مــلَّــحُــوا[2]

ويحَ أهلِ الـــعـــشقِ هـــذا حـــظُّـــهمْ

هَـلْـكَى ! مــهــمــا كــتــمُــوا أو صــرَّحُــوا[3]

****

(١) الأبيات في "م"، ص : ١٣٩٣ و"ص"، ص : ١٢٩، ١٣٠ [أسجح أي أحسنَ العفو. يقال: ملكْتَ فأسْجِحْ] (م).

(٢) يهنا : مقصور من يهنأ، تملحت العظام : تعبير شعبي مستعمل بصيغة أخرى في الجزائر كقولهم : "روح اتملح اعظامك" وهو بهذا المعنى دعاء بالهلاك والويل [يلزم حذف ألف «يهنا» و«هلكى» في البيت التالي والاكتفاء بالفتحة قبلها ليستقيم الوزن] (م).

(٣) في البيت زحاف في عبارة «هلكى»، وهو مستقبح في حشو البيت.

وحدة الوجود(*)

[من مجزوء الرمل]

أنـــــا حَـقٌّ أنـــــا خـــــلْقٌ
أنـــا ربٌّ أنـــــا عـــــبـــــدُ(١)

أنـــا عـــرشٌ أنـــا فـــرشٌ
وجـــحـــيمٌ أنَـــا خـــلـــدُ

أنـــا مـــاءٌ أنـــا نـــارٌ
وهـــواءٌ أنـــا صـــلـــدُ

أنـــا كـمٌّ أنـــا كـــيـفٌ
أنـــا وجـــدٌ أنـــا فـــقـــدُ

أنـــا ذاتٌ أنـــا وصـفٌ
أنـــا قـــربٌ أنـــا بـــعـــدُ

كـل كـــونٍ ذاك كـــونِـي
أنـــا وحـــدي أنـــا فـــردُ

****

(١) الأبيـات في "م"، ص : ١٢٢٤، و: "ص"، ص : ١٣٦، في "م" أنـا حق أنـا خـلق. في "ص" وردت عـدة صـور لبعض ما في هذه الأبيات على أنها أثبتت في "المواقف" وبالعودة إلى "المواقف" لم نجد أي خلاف بين ما ثبت في الديوان نسخة "حقي" المعتمد في تحقيقنا أصلاً، وما في المواقف، فلا ندري أي طبعة للمواقف عناها «صيام»، وبخاصة وهو لم يثبت ذلك في أي هامش كان عدا كلمة «المواقف»، وكذلك لم يذكر مصادره ولا مراجعه بالمعلومات المطلوبة في مكان تحقيقه للديوان كما لم يثبت قائمتها في بداية الديوان أو نهايته.

هو الباطن هو الظاهر(*)

[من الطويل]

أردّدُ طـــــرفِـي في الـــــرســــــوم فلا أرَى
سـوَى مَنْ بـه كـانت : رسـومـاً وآثـارًا[1]

وأســـألـــهَـــا عـــنـه فــكلٌّ أجـــابـــنِي
بـــــأنـهُ مـــــا راَهُ يـــــومـــــاً ولا أدرَى

فــقــلـتُ لــهمْ : هــذا عــجـيبٌ ! فــإنــني
مـــا أبـــصـــرتهُ إلا بـــكم مـــتـــظـــاهــرَا

عــرفــتُهُ مــنــكم ثم زادَ في عِــرفــانــنَــا
بـــأنـــنِي إيـــاهُ ولــــكنَّ مـــنـــكِــرَا

عـجـبتُ لـه كـيف اخـتـفَى بـظـهـورهِ ؟!
فـعـيـنِي حـجـابُه الـظـهـورُ ولا أنـفـرَا

ألا فـاعـجـبُـوا من ظـاهـرٍ في بـطـونهِ
ومِن بــــاطنٍ لا زالَ بــــادٍ وظـــاهـــرَا

****

(*) تبدو المقطوعة غير متماسكة في الوزن، ولعل الشاعر قد نظمها في حالة غيبوبة صوفية كما ذهب إلى ذلك "حقي"، وهو ما جعلها كذلك. أو أنه عمد إلى هذا الأسلوب عمداً لتسهيل أدائها من لدن حلقات الصوفية.

(١) المقطوعة في "م"، ص : ١٣٩٣، و: "ص"، ص : ١٥٥ وقد أخذ صاحب المواقف المقطوعة عن الديوان بحسب ما في الهامش، لهذا جاءت متطابقة مع المثبتة في الديوان.

كمـا كنــت

[من مجزوء الرمل]

هُنْ إذا ســـاعـــدكَ الـــدهـــرُ فـــذُو الـــعـــقلِ يـــهـــونُ[1]
فـــإذا حـــــطَّكَ دهـــرٌ فـــكـــمـــا كـــنتَ تـــكـــونُ!

****

(١) البيتان من شعر السُّمَيْسرِ الإلبيري الأندلسي (وهو أبوالقاسم خلف بن فرج المتوفي ٤٨٤ هـ) أوردهما ابن الأبّار في كتابه «التكملة لكتاب الصلة» (٢:٤٧٠) في دَرْج ترجمة أبي بكر محمد بن جعفر اللخمي القرطبي. قال ابن الأبّار: قرأت بخطّ ابن النعمة حدّثني الفقيه المقرئ محمد بن جعفر القرطبي نزيل بلنسية في عقب شهر ربيع الأول سنة ٥١٢، قال أنشدني الشاعر السُّميسر بقرطبة:

هـــنْ إذا مـــا نلتَ حظّاً فأخـــو العقل يهون
فمتـــــــى حَطّك دَهْرٌ فكما كنتَ تكـــون

والاختلاف يسير بين هذه الرواية، وما ثبت في رواية ديوان الأمير عبدالقادر. وقافية هذا الشعر يصحّ أن تكون مطلقة (يهونُ؛ تكونُ) ويصحّ أن تكون مقيدّة (يهونْ؛ تكونْ).

ولا شك عندي في أنّ الأمير عبدالقادر لم يُدخل النص في شعره؛ ولكنَّ جمع الديوان من أوراق الشاعر الأمير يقتضي التدقيق، والتحقيق، وإعادة النَّظر أيضاً.

ووجود هذا الشعر، وغيره من أشعار الأندلسيين في أوراق الأمير وكتبه يبين وجهاً من وجوه مصادر ثقافته المتعدّدة. وكان للأندلس مكانة مهمة (م).



و – الملحقان:

أ- شعر «المواقف»

حديث عجب!

[من البسيط]

لا تــعــجَـبُـوا من حــديــثِي جلَّ عن عــجبِ
حـــقـــيقٌ قـــولِيَ لاَ لـــغـــو ولا كـــذبِ[1]

ولـــدت جـــدي ،جـــدَّته وبـــعـــدَهُـــمـــا
أبـي تـــــــــولَّـــــــــد عـن أمِّي وأيُّ أبِ ؟!

وبـــعــدَ ذا ولـــدوني بــعــد كــونِي أنَــا
ووالـــدي الــبـــرُّ تـــوأمـــان في صُـــلْبِ[2]

وكـنتُ من قـبلُ في الـحـجـورِ تـرضـعُـني
بـطـيبِ ألـبـانِـهـا الأُمّـات لأتـرِبِ[3]

ولـــيسَ يـــدْري الـــذي أقـــولُ غـــيـــر فـــتىً
قـــد جـــاوز الـــكـــونَ من عـــينٍ ومن رُتَبِ

****

(١) المقطوعة، في "ص"، ص: ١١٤، وفي القافية إقواء.

(٢) في الأصل: «تومان» وأصلحنا الكلمة بما يوافق المعنى والوزن (م).

(٣) في الأصل: «الأُمّهات» وهذه تقال في العاقل والأمّات في غير العاقل، وقد ترد الواحدة في مكان الأخرى لغرض بلاغيّ، أو لضرورة (م)، وفي القافية إقواء.

أنا مطلق

[من الطويل]

أنا مطلق لا تطلبُوا - الدهرَ - لي قيدَا
ومَالِيَ مِنْ حدٍّ فلا تبغُوا لي حَدًّا[1]
ومالِيَ من كيفٍ فيضبطُني لكمْ
ولا صورةٌ لا أعدو منها ولا بُدًّا
وما لِيَ شأنٌ يبقَى آنينَ ثابتاً
وإنَّ شؤوني لايُحاطُ بها عَدًّا
ومالِيَ من مثلٍ ومالِيَ من ضدٍّ
فلا تطلبُوا مثْلاً ولا تبغُوا لي ضدًّا[2]
ولا تنظرُوا غيريّ من كلِّ صورةٍ
فلا تنظرُوا عَمْراً ولا تنظروا زيْدَا
ولاتطلبُوا غيري فما هو كائنٌ
سوى خيالاتٍ تحْسبُون لها وجْدَا[3]
ومَا هي إلاَ سترة قد نصَبْتهَا
لأبله عقْل صبَّحتْ عيْنَه رمْدَا[4]
ألا فانظروا إلى الحبيبِ وفكِّروا
فهلْ غيره ما صارَ صورتهُ زيْدَا
فلا كائنٌ إلا أنَا بهِ ظاهرٌ
ولا كائنٌ يكونُ لِي أبداً قيْدَا
ولا باطنٌ إلا أنا ذاك باطنٌ
ولا ظاهرٌ غيري فلا أقبل الجَحْدَا

---

(١) القصيدة في "ص"، ص: ١٣٩، ١٤١

(٢) في البيت كسر عروضي [وينضبط بخطف صوت الواو من «تبغوا» وهذا كثير في هذه الأشياء الصوفية خاصة] (م).

(٣) في البيت كسر عروضي ووجدا أراد وجوداً [ولا بد من خطف الألف الأولى من: «خيالات»] (م).

(٤) أراد أن ما اعتقده عقل الأبله حقيقة وواقعاً فهو غير ذلك. أي أن من يثق في الدنيا كمن أصيب بالرمد، أي أنه لا يرى الأشياء على حقيقتها، [الشطر الثاني في الأصل: لأبله عقل صور صبحت..] (م).

فقلْ عالَمٌ وقلْ إلهٌ وقل أنا
وقل أنْتَ وهْو لستَ تخشى به رَدًّا
تعدَّدتِ الأسمَا وإنِّي لواحدٌ
ألا فاعبدُوني مطلقًا نَزِهًا فرْدَا
أنا قيسُ عامرٍ وليلى محقّقاً
محباً ومحبوباً وبينهما ودًّا[١]
أنا العابدُ المعبودُ في كل صورةٍ
فكنتُ أنا ربّاً وكنتُ أنَا عَبْدَا
فطوْرًا ترانِي للكنائسِ مسْرِعاً
وفِي وسطِي الزنارُ أحْكمتُه شدًّا[٢]
أقولُ بإسم الابن والأبِ قَبْلَهُ
وبالروحِ روحِ القدْسِ قصداً ولا كَيْدَا[٣]
وطورًا بمدراسِ اليهودِ مدرِّساً
أقرِّرُ توراةً وأبدِي لهمْ رشْدَا
فما عَبَدَالعَزِيْزَ غيرِيَ عابدٌ
ولا أظهرَ التثليث غيري ولا أبْدَى
ولا أورى نارَ الغرسِ غيرَ مُوْرِيٌ
وما قالَ بالإثنينِ إلاَّ أنَا لَحدَا
أنَا عينُ كلِّ شَيء في الحسْنِ والمعنَى
ولا شيء عيني فاحذرِ العكسَ والطَّرْدَا[٤]

---

(١) في القافية إقواء.

(٢) الزنار: ما يشد على الوسط، والبيت في "ص":

"فطورا تراني مسلماً أيَّ مسلم — زهودًا نسوكًا خاضعًا طالبًا مدًّا"

(٣) من هذا البيت إلى البيت الأخير غير موجودة في "ص".

(٤) في "ص" في الحس" والمعنى. [يكشف هذا النصّ- وما شابهه - موقف الأمير الشاعر من التصوّف ورؤيته التي صدر عنها. وأقرب شاهد مشهور لأبيات الأمير الأخيرة من القصيدة قول محيي الدين بن عربي وهو يعبّر عن «النزعة الكلية» (ترجمان الأشواق ٣٩-٤٠ بيروت ١٣١٢هـ).

لقد صار قلبي قابلاً كُلّ صورةٍ
فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ
وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ
وألواح توراة، ومصحف قرآن
أدينُ بدين الحب أنّى توجّهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني] (م)

الذي أفناني(*)

[من الطويل]

أرَى الذي أفناني سيخلفُني بعدُ
يقوم برسمنا فيشمله الحدُّ[1]

لذاكَ أرَى اسمهُ يعيّنُ رسْمَنَا
يجيب إذا دُعي لا ردٌّ ولا جَحْدُ

فما بالهمْ يدعونه عبد قادرٍ
ولم يبقَ إلا قادر ماله عبدُ[2]

لقدْ بادَ منْ قد كان من قبل بائدًا
وزال خيالُ الظلِّ وارتفعَ السدُّ

وزال عنِ العقل المصونِ حجابهُ
فصارَ ضَلالاً ما يراهُ له رشدُ[3]

فلستُ أنا ذاك الذي تعرفونهُ
ألاَ فَاطلبوا من ذا يكلِّمكمْ قصدُ

ولَسْتُمْ أنتمُ الذين عرفتُهمْ
فما عَمْرُكمُ عَمْرُو ولا زيدُكمْ زَيْدُ

لقد ضاقَ صدري بالذي أنا واجدٌ
وتعبيرِي ما يفِي فيبدُو ولا يبدُو

ألاَ فاعْذرُوا من ذاق إنْ ضاق صدرُهُ
كما أنَّ مَنْ قد ذاقَ عاذرَكمْ يغدُو

****

*) القصيدة في "ص"، ص: ١٣٩بم١٣٨ .(١) القصيدة في مضمونها تستفيد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عليهَا فَان . ويبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلال والإكْرَام﴾ الرحمن: ٢٧بم٢٦ [ولابد من خطف ياء (الذي) ليستقيم الوزن] (م).

(٢) عبد القادر: أراد الشاعر نفسه.

(٣) البيت كنى به عن يوم القيامة كما في الآية: ﴿يَوْمَ ترونَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أَرْضعَتْ﴾، الحج: ٢ ، وفي القافية إقواء، وكذلك قافية البيت التالي.

تجلي المحبوب(*)

[من الطويل]

تجلَّى له المحبوبُ من حيث لا يَرى
فأعجِبْ بهِ أراهُ من حيْثُ لا أرَى

وغَيَّبَني بهِ فغاب رقيبُنا
وزال حجابُ البينِ وانحسمَ المِرا

فصرتُ أراه كلَّ حين ولحظةٍ
وقد كانَ غائباً وقد كانَ حاضِرَا

وما عُرِفَ الخلاَّقُ إلا بجمعِهِ
لضدين من كلِّ الوجوهِ تنافَرَا

وواصَلني فلا تناكرَ بعد ذَا
وقرَّبني فكان سمْعاً وباصِرَا

أسرَّ إليَّ حيْثُ لابينَ بينَنَا
بسرٍّ حكىْ لطفَ النسيم إذا سرَى

ولا طَفني بقوله الحقَّ معلِنًا
أني قد اخْترتُ قد اصطفيتُ بلا امْترَا(1)

وباسَطني ياما ألَذهُ قائلاً
تمتَّعْ وكحِّلْ بالجمالِ نواظِرَا

فقدْ طالما قد كنتَ تصبو إلى اللِّقَا
وكان جمالي بالحجاب مُسَتَّرَا

وكمْ من شهيدٍ مات بالشوْق والفنَا
محبٍّ لذاك الحسنِ لوْ كان قدَّرَا

*) القصيدة في "ص"، ص: ١٥٨بم١٥٦ [وفي بعض أبياتها اضطراب في الوزن، واضطراب في القافية وخصوصاً سناد التأسيس] (م).

وكمْ من شـــهــيــدٍ لـــلــغَــرام مــشــاهــدٍ
لــبــعضِ الــذي شــاهــدْتُ مَــات فــأُقْــبِـرَا
وذا قـــيسُ عـــامـــرٍ تـــخـــيلَ نـــورَنـــا
في لـــيـــلــى فــمــات والـــهـــاً مــتــحـــيِّــرَا
لــقــدْ ســبــقَتْ بــالــفــضل مــنَّــا عــنــايــةٌ
إِلـــيك فــحـــدِّثْ عنْ عــطـــايَ مـــخـــبِّــرَا
وغـنٍّ ودنـــــدِنْ لا تـــــمـِلْ لمـــــفـــــنِّـــــدِ
وكنْ فــرِحـــاً بـــالــوصْلِ لـــلَّهِ شَــاكِــرَا[1]
تـــملَّ وقـــرْ عـــيـــنـــاً وأنـــعِمْ بـــوصـــلـــنَـــا
أبـــحْـــنَـــا لك الـــذِي تـــرى جلَّ مـــا تـــرى[2]
وتِـــهْ وتــــــــدَلَّلْ أنـتَ أهــلُ لــــــــكلِّ ذَا
فـــمنْ لهُ مـــثلُ ذا يـــكنْ بـــذا أجْـــدرَا[3]
وقـــدْ شـــرب الحلاجُ كـــأسَ مُـــدامـــةٍ
فـكــانَ الــذِي قــدْ كــان مــنه مــســطَّــرَا[4]
وإنِـي شــربتُ الــكــأْس والــكــأسَ بــعــدهُ
وكــأســاً وكــأســاً شــيــا مَــا أنــا حَــاضِــرَا[5]
ومَـــا زالَ يـــســـقـــيـــنـِي ومَـــا زلتُ قـــائلاً
لهُ زِدْنِي مـــا يـــنـــفكُّ قـــلـــبِي مـــســـعَّـــرَا

(١) في ص: لا تصل لمفند.
(٢) الأصل: قرّ(فعل أمر من ق ر ر) وسكن الشاعر راءي الكلمة ضرورة (م).
(٣) الشطر الثاني مضطرب عروضياً.
(٤) الحلاج: أحد أقطاب الصوفية ذكره الأمير في مواطن شتى، كما استلهم بعض أخباره في شعره، وهو عنده كما في البيت من واضعي الطريقة الصوفية. [انظر دراسة عنه في مقدمة ديوانه الذي صنعه د.كامل مصطفى الشيبي، مكتبة النهضة - بيروت - بغداد] (م).
(٥) الشطر الثاني فيه كسر عروضي، فأثقل بالزحافات التي تضمنها.

وفي الحـال حـالِ الـسـكـر والمحْـوِ والـفَـنَـا

وصـــــلـتُ إلى لا أيْنَ حَــــقّـــــاً ولا وَرَا[1]

أنَـــا المُــوْسَــوِيُّ الأحـــمْـــديُّ وِراثـــةً

صـــعـــقت ودُكَّ طـــورنَـــا جَـــرى مَـــا جَـــرى

****

(١) المحو: ذهاب الشيء بحيث لا يبقى له أثر. والمحو والإثبات من ثنائيات السلوك الصوفي، كالفناء والبقاء، وربما هذه الثنائية مصدرها من قوله تعالى: ﴿يَمحُو اللَّهُ ما يشاءُ وَيُثبِّت.﴾ الرعد: ٣٩، وانظر: د.سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر / ط/ ١٤٠١/١، ١٩٨١ ص: ١٠١٦.

والفناء: عند الصوفية هو فناء الخصال المذمومة، ولا يبقى منها إلا كل ما هو محمود والموسوي: نسبة

غاية الذي يبغي

[من الهزج]

فيا نورًا بلا شمسٍ
ويا شمساً بلا نُورٍ[1]
ويَا بحْرًا بلا حدٍّ
وساحِلاً بلا بحْرِ
ويَا نُكْرًا بلاَ عُرْفٍ
ويا عُرْفاً بِلا نُكْرِ
ويا غيْرًا ولا عينٌ
ويا عيْناً بلاَ غيرِ
ويا سِتراً بلا كشْفٍ
ويا كشفاً بلا ستْرِ
ويا فَجرًا بلا ليلٍ
ويا ليلاً بلا فجْرِ
يا حيرتِي يا دَهشتِي
يا حرفاً ماله مُقرِ[2]
لقد حيَّرْتَنِي حتَّى
في حيرتِي وفي أمْرِي[3]
وحارَ كلُّ ذِي كشفٍ
وذي عقلٍ وذي فِكرِ
وغاية الذِي يبْغِي
عرفناكمْ إلى خسرِ[4]

(١) القصيدة في "ص"، ص:٢٠٩ .
(٢) البيت مضطرب: شطره الأول من مجزوء الرجز، والشطر الثاني لا وزن له على هذه الصورة. وأكرر هنا أن شعر الأمير الصوفي مضطرب لاضطراب النقل عنه، أو لإدراج الناسخ ما يشبه الشعر بالشعر (م).
(٣) مضطرب.
(٤) في «ص» :عرفانكم، وعلى الحالين: البيت مضطرب أيضاً: معنى أو وزناً (م).

حقق الأمر(*)

[.............]

أنــا كــونُ ذاك كــوني أنــا وحــدِي أنــا فــردٌ

لا شكَّ أني مـجـبـورٌ وجـابـرني مـجـبـورُ[1]

بــالـعـلـمِ مـنه قـيـده لا تـبـديلَ لا تــغـيـيـرَ

والـعـلـم أيـضـا تـابعٌ لمـتـبـوعٍ ومـقـصـورُ

فـكـلـنـا في قـبـضـته مـقـيَّـد ومـحـصـورٌ

فـأَيْنَ لـو شـئـنـا ولـوْ أردنـا فـيه تـخـيـيـرُ

يـا حـيـرةَ الـعـقل ويـا ظـلـمـةً مـا لـهـا نـورٌ

والجـبـر لاعـذْرَ بـه لجـاهل يـا مـغـرورُ[2]

سـوى الـذِي عـرفه كـشـفـاً فـذلك مـبـرورُ

فحـقق الأمْـرَ تـفـزْ بـعـلـمٍ عـنـدي مـدخـورُ[3]

وتــــــنــــــجـــــو مــــــثـل منْ نجَـى

ولاذنـب مــــــنـك مــــــغــــــفــــــورُ

(*) هذه تهويمات وأذكار صوفية لا تدخل في الشعر (م).

(١) الأبيات في "ص"، ص: ٢٠٧ ، والبيت في "ص" هو:

«لا شك أنـي مــــجـــــبــــور جـــابـــرنـي مــــجـــــبــــور

والجـــبــــر لا عـــــذر به لجـــاهل يــــا مــــغــــرور»

والأبيات كأغلب القصائد الواردة في "المواقف" غير متمثلة لبحر واحد بحسب تفعيلاتها المعروفة.

(٢) في " ص " الشطر الثاني «سوى الذي عرفه كشفا، فذاك مبرور».

(٣) في "ص" البيت:

«فـــحـــقق الأمـــر تـــفـــز بـــعـــلـم عـــنـــدي مـــدخـــور

****

(*) أكثر هذا النص لا يدخل في الشعر، وهو من الأذكار والتسبيحات والنجوى على مذهب القوم (م).

(١) الأبيات في "ص"، ص: ١٦٥بم١٦٤ ، وهي مضطربة في وزنها بحيث لا تعود إلى بحر واحد، وهي قريبة من النظم أكثر منها إلى الشعر، سجلت موقفًا من مواقف الصوفية أو هي إيماءات، وتعابير متوسل بها في شطحة من شطحات الفرق الصوفية، وقد أعادها صيام إلى بحر الطويل، وهو ما لا ينسحب عليها كما نلاحظ.

(٢) في "ص":

«ومـا حـلـني ولا حـلـلـت أنـابه　　فـكـأني مـذ كـنت فـاسـمع لي واعـتـبـر».

(٣) البيت قريب من آخر للشاعر هو:

«تـعـددت الأسـمـاء وإني لـواحـد　　ألا فـاعـبـدوني مـطـلـقـا نـزهـا فـردا».

(٤) في "ص"، فسيئات لفظا، وهو الذي، و: الحسن.

(٥) في "ص" الصدى: . و: الحسن.

هـويتـه(*)

[..............]

ومـا نـحنُ إن حـقَّـقت بـالـغـيـر والـسـوَى
هُـويّـتُه سَـمْـعِي هـويّـتُه الـبـصـرْ[1]
هُـويّــتُه عــقــلي هــويــته قــلــبي
هُــويــتُه كــلي لا تــبــقى ولا تــذرْ
هُــويّــتُه رجــلي هــويــته يــدي
هُــويــتُه نــفــسي وإنّيَ مــا ذكــرْ
ومـا حـلَّـني ولا حـلـلـته أنَـا به فـكـأنـنِي
مــذْ كــنت فــاســمع لي واعــتــبــرْ[2]
تــعــددتِ الألــقــاب والــعــين واحــدٌ
فــمــا ثَمَّ إلا الــلـه لا عــين الــغــيــرْ[3]
فـشـيـئـانِ لـفظ نـحن والـعـين واحـدٌ
فــأنتَ هــو الأنــا وهُــوْ أنتَ فــادّكِــرْ[4]
يــجــيبُ إذا دعــوتَ فــهــو الــذي دعَــا
كـرجع الـصـدى الـثـانِي في الحسِّ والأثـرْ[5]

(*) هذه القطعة وإن استقامت معظم أبياتها لا تدخل في الشعر. هي من مواجد العباد والزهاد التي يحسن فيها السجع والتقفية والاقتراب من النمط الموزون، وما استقام من الأبيات والأشطار فهو من بحر الطويل (م).

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٢١٧بم٢١٥، والغيهب: الظلمة، أو الضباب، والحجاب في لغة المتصوفين: الطريق الموصول به أي واصل وليس مانعاً كما في معناه الحقيقي والسوى عندهم تعني كل ما عدا الله من المخلوقات.

(٢) السكر: هو عندهم طبيعي، وعقلي، وسكر الكمَّل، أي سكر المؤمنين، والعارفين والسكر الإلهي.

(٣) الواحد: استعمله ابن عربي بمعنى القطب، وتجمع الأضداد أراد به وحدة الوجود.

(٤) زايل ضلال العقل إذ إنه الحبس: يوميء إلى ترجيح القلب على العقل كما في فلسفتهم.

أمطنــا الحجاب[*]

[من الطويل]

أمـطْنَـا الـحـجـاب فـانمـحى غـيـهَبُ الـسَّوى
وزال أنــــا وأنـتَ وهْـــو فـلا لــــبسُ[1]

ولـمْ يَـبقَ غــيـرنــا ومــا كـان غــيـرُنـا
أَنـا الـسـاقي والمـسـقيّ والخـمـرُ والـكـاسُ[2]

تجـــمـــعتِ الأضـــدادُ فيَّ وإنَّـــنِي
أنـا الـواحـدُ الـكـثـيـرُ والـنـوعُ والجـنسُ[3]

فلا تَــحــتــجبْ بمــا تــرَى مــتـكـثِّـراً
فـمـا هــو إلاَ شـخـصـنــا الـنَّـزِه الـقـدْسُ

(٢) الشطر الأول خارج عن وزن الطويل (م).

فـمــا كــنت نــاظـراً بـنــا أنتَ نــاظـرٌ
إلـــيـــنَـــا وإلاَّ أنتَ أعـــمَى به طـــمْسُ
هـوَ الـدين تـوحـيـدي فلاَ تَـحْـسـبَنْ غـيـرِي
يــوحِّـدني غـيـرِي هــو الـشـركُ والــرجْسُ
فــمــا دمْتَ غــيــرنــا فــأنتَ شــريــكـنَــا
وهلْ ثمَّ غــيــرٌ يــا بــلــيــدُ به هــوْسُ
فـفـارِقْ وجـودَ الـنـفسِ تـظـفـر بـالمُـنَى
وزايل ضلالَ الــعـــقل إذْ إنه الحـــبْسُ[٤]
ومــا تــوحــيــديَ المـقــبــول قــولاً وإنَّهُ
لـــفـــعلٌ فلا يــــغْـــرُرْكَ جنٌّ ولاَ إنسُ[١]
ومــا هــوَ إلاَّ أَنْ تــصــيــرَ إلى الــفَـنَــا
وتـــصـــعقَ لــــيسَ ثمّ روحٌ ولاَ حسُّ[٢]
تــشــاهــدُ أحــوالَ الــقــيــامــة جــهْـرةً
تُــهَــيَّــا لكَ الأكــفــانُ والــغــسْلُ وَالــرَّمْسُ

****

١) القصيدة، في "ص"، ص: ٢٣٤بم٢٣١ والنص فيه كثير من الزحافات التي جعلت وزنه مضطرباً، كما في أغلب قصائده الصوفية بعامة [وفي الأصل: أيا حيرتي وما الذي..] (م).
(٢) آل: مضارعه يؤول، وقد أراد التغيير والتحول. [وقوله «بما» أي: «بماء»] (م).
(٣) أظنها «هو المدفع» (م).
(٤) الظاهر والباطن: لهما معان كثيرة عند المتصوفة مستنتجة من التأويلات التي يعطونها لهما، ومنها الثبوت بالنسبة للظاهر، والتنوع بالنسبة للباطن، فظاهر الإنسان له الثبوت، وباطنه له التنوع انظر: د.سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص: ٧٥١-٧٦١ .

أيا حيرتي

[من المتقارب]

أيـــا حـــيــــرتِي مَـــا الـــذِي أصـــنعُ
لـــقـــدْ ضـــقتُ ذرعًـــا فـــمـــا يَـــنْـــفَعُ[1]
أكـــــادُ تـــــرانِيْ مـــــنـــــفَـــــطـــــرًا
جَـــوَاهِـــرِي مـــبـــثـــوثـــة أجـــمَعُ
وطـــــوْرًا أذوبُ كـــــثـــــلـــجٍ بمَـــــا
فَـــــــاَلَ إلـى أصْـــــلـــهِ أنْـــــفَعُ[2]
وكـــلَّـــمَـــا قـــلتُ هـــذَا مـــخـــرَجٌ
يـــســـدُّعـــليَّ فـــمَـــا أطـــلعُ
فـــإنْ كـــنتَ غـــيـــرًا أنَـــا مـــشْـــرِكٌ
وإنْ كُـــنْتَ عـــيـــنـــاً فـــذَا أَقْـــطَعُ
وإنْ كـــــــنـــتَ ذَاكَ وذاك أنَـــــــا
فـــكلُّ الـــنـــقـــيـــضـــين لا يُـــجْـــمَعُ
وأيْنَ تُـــســـمِّـــيهِ لِي ظـــاهـــرًا
إذا لـمْ يـــكـــن بـــرقُه يـــلـــمعُ
وأيْنَ تُـــســـمِّـــيهِ لي بـــاطـــنًـــا
إذَا كـــان هـــذَا هـــو الـــدَّفعُ[3]
وكُلُّ الـــعـــوالـم طـــورًا أنـــا
فـــقـــدْ جـــمعَ الـــضـــدَّ لِي مـــجـــمَعُ[4]

---

(١) لعل الأصل: «فهل من دواء لهذا العضال» أي لهذا الداء العضال (م).

(٢) كأن قوله «عو» أو «عُ» على طريقة الاكتفاء، أي ذكر جزء من الكلمة اكتفاءً عن سائرها. والتقدير: عُبِدِ» مثلاً (م).

وطـــــــوْراً لا شـيءَ يـــــــقــــــالُ لَـهُ
أنـــا الـــعـــالم الأكـــبـــر الأجـــمعُ
أنَـــادِي مـــغـــيـــثـــاً فلا مـــنـــجـــدٌ
فــــقـــيـــرٌ دعــــاه فلا يــــسْــــمَعُ
فـــهل من دَوَاءٍ بـــهـــذا الـــعـــضـــالِ؟
ولاَ مـنْ يـــــجـــــيـــــرُ ولاَ يــــدْفَعُ[1]
وكلُّ طـــــبـــــيب شـــــكـــــوتُ لَهُ
يـــقـــول فـــذَا الـــداءُ لي المُـــوجِعُ
وأهــــربُ من حـــيـــرَتِي كـــلَّـــمَـــا
تـــوالتْ فـــكـــانَ لـــهَـــا المـــرجِعُ
فـــحـــيـــرتِي مـــا كـــنْتُ كـــائـــنـــةٌ
وحـــتَّى الـــقـــيـــامـــةِ لا تُـــقْـــلِعُ
فـــأشْـــكُـــو إلى حـــيـــرتي حِـــيـــرتِي
فـــلـــيْسَ إلَى غـــيـــرهَـــا مـــفـــزَعُ
وكمْ كـــــائِنٍ بــــهـــــذا ابْـــــتُـــــلِي
وكلّ لـــــقــــــدْ ضمَّ ذَا المـــــصـــــرَعُ
فـــيـــا خـــيـــبـــةَ الـــعـــقْلِ في حـــكـــمهِ
عـــلَى الـــعَـــينِ ســـتـــر فلاَ يَـــقْـــشَعُ
فــــأينَ الــــذي فــــوق عــــرشٍ عَلا
ومـنْ هــــوَ في أســــفلِ الأرض عُـــــو[2]
ومَنْ أيـــنـــمَـــا نَـــتـــوَلَّى فـــهُـــوْ
لـهُ ثَـمَّ وجـهٌ بـه بـــــــــــــرقُـعُ[3]
ومَنْ أيـــنَـــمَـــا كـــنَّـــا مـــعـــنَـــا يـــكنْ
ومن يـتـحـوَّلْ في صـورٍ فـاسْـمـعُـوا
فـــــمــــا بــــين هــــذا وذه وتـهٍ

---

(١) المهيع: الطريق الآمنة، أو السهلة.

عـــقـــول الـــورى اغـــتـــالـــهـــا سَـــبُعُ
وتـــاهتْ في بــــيــــداء مـــظـــلِـــمـــةٍ
مـــــجـــــاهلُ أروَاحِـــــهَـــــا زَعْـــــزَعُ
ســــكـــــارَى وشـــتَّـى مـــذاهـــبــــهمْ
وكلٌّ يـــــقـــــولُ إلَّي اهْــــــرَعُـــــوا
فــعــنْــدِي الــنــجــاةُ وعــنْــدِي الــهــدَى
وعـــنـــدِي الـــســـبـــيلُ وذَا المـــهْـــيَعُ[1]

****

(*) في بعض أبيات القصيدة اضطراب، وهي موصولة بالبحر البسيط (م).
(١) القصيدة في " ص "، ص: ٢٤٤بم٢٤٣، وهي كأغلب قصائده في « المواقف » حيث تميزت باضطرابات عروضية تجاوزت في بعض الأحيان حتى ما أتاحه العروضيون للشعراء وعدوه شاذاً.
(٢) في كل شعره الصوفي ينتصر للقلب على العقل لإيمانه أن المعرفة عن طريق القلب أوسع منها عن طريق العقل، وهو توجه الصوفية بعامة.
(٣) في الأصل، وفي طبعة صيام: «ربّما» وأظنها مصحفة عن «ربّاً» كما يدل السياق (م).
(٤) العسف: الظلم والجور، و تحميل الشيء ما لا يطاق.

عابد فكرة(*)

[من البسيط]

يــا منْ غــدَا عــابــداً لــفــكــره فــقفِ
فــأنتَ يَــا غَــافلاً عــلَى شــفَــا جُــرفِ[1]
جــعــلتَ عــقْــلكَ هَــاديــاً ونــورَ هــدًى
أضــلَّك الــعــقلُ أيْــقِنْ أنتَ في تــلفِ[2]
نــحتَّ ربّــاً كــمــا تــهــوَى وقــلتَ بهِ
تــظلُّ تــعــبُــدُ مــا خــلَّــقتَ في شــغَفِ[3]
صــوَّرْتَهُ صــورةً بــالــوهم بــاطــلــةً
حــكــمْتَ جــوراً عــلــيه جــورَ مــعــتــسِفِ[4]
حــكَّــمتَ عــقــلك في الــربِّ الــعــظــيمِ فــمَا
تــنــفكُّ تحــكم فــيه حــكمَ ذِي ســرفِ
تــقــولُ لــيسَ كــذَا ولــيس هُــوْ كــذا
الحــقُّ في طــــرفٍ و أنــتَ في طـــــرفِ
قــيَّــدتُمُ مــطْــلــقًــا لا قــيــدَ يــحــصــرهُ
الــقَــيْــدُ حــدٌّ ولــيسَ الــلــه كــالــهــدَفِ
فــكــيفَ تــنــكــرُ وصــفَهُ، حــقــيــقــتَهُ
نــفــيتَ مــا أثــبتَ الــقــرآنُ في صُــحفِ
لــولا تــوهُّمُ أن الــنــقصَ يــلــحــقهُ
لمــا نــفــيْتَ فــإن الــنــفْيَ بــعــدُ يَــفِي

(١) ينضبط الوزن لوقُرئت: «فالْزَمَنْ» والتوكيد أسلوب محبّب إلى الأمير (م).

(٢) البيت غير موجود في "ص"، وغير مستقيم في وزنه أيضا.

(٣) السدف: الظلام الحالك.

(٤) في الأصل وطبعة د.صيام «العليا» وبرسم «العلياء» يصح الوزن (م).

الحقُّ في مــشــرقٍ والــعــقلُ في مــغــربٍ
شــتَّــان مــا بــين ذَا وذا فلا تَــخفِ
عــلــيكَ بــالــشــرعِ فــالْــزم طــريــقــتَهُ
فــحــيــثُــمـا ســارَ سِــرْ وإنْ يــقفْ فـقِفِ[1]
إنِ قــال لــيسَ كــمــثــلِي شيءُ قلْ هُــوَ ذا
أو قــال لِي أعــينٌ فــقلْ بــذا كَــلَــفِي
شــبــهه تــره في الــتــشــبــيهِ حــتَّى تــرى
مــنــزَّهــاً أَخَــا تــشــبــيهٍ بِلاَ جَــنَفِ[2]
لا شَكَّ أنكَ يــومَ الحــشــر تــنــكــرهُ
إذا تجــلَّى لجــمع الخــلْفِ والــســلفِ
وتــســتــعــيــذُ عــيــاذًا مــنه جــهلاً فَــيَــا
خــســارةَ الــعــقل يَــا ويلاهُ منْ صُــدفِ
عــنــدِي منَ الــعــلم لــبُّه وجــوهــرهُ
والــنــاس أعــيــنــهمْ تــرنــو إلى الــصَّــدَفِ
قــد قــيَّــدَتــهمْ عــوائــدٌ وثــبّــطــهمْ
تــقليــدُ من يمشي نــحــو الظلــمــةِ الــسدفِ[3]
فــلــو وجــدتُ له أهلاً لــبــحتُ بهِ
مــســتــخــرجــاً كــنــزَه المحــفــوفِ بــالــطُّرَفِ
لــكنَّ أهْــله قــد مــضــوا فلا طــالبٌ
تــلــقــاه يــسمُــو إلى الــعــلــيَــاء والــشرفِ[4]

****

(١) المقطوعة في "ص"، ص: ٢٤٧ وهي ككل أشعار «المواقف»، مضطربة الوزن.
(٢) فيه معاني سورة الزلزلة ، و: دكادك: متساقطة، مهدمة.
(٣) البرزخ: الحاجز بين الشيئين أو ربما أراد ما بين الشك واليقين.
(٤) من قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر ١٦ .

لو حضرت

[...............]

يــاصَـــاحِ إنك لــو حــضـــرتَ ســمـــاءنـــا
وقتَ انــشــقَــاقــهـــا حـــين لاتـــتــمَـــاسكُ[1]

وشـــهـــدتَ أرضـــاً زلـــزلَتْ زلـــزالـــهَـــا
أَلـــقَتْ مـــا فـــيـــهـــا والجـــبـــالُ دكَـــادِكُ[2]

ونـــظـــرتَ أرضـــاً بـــدّلتْ وســـمـــاءنَـــا
وبـــرْزَخـــنَـــا حَـــلَـــلْـــنَـــا وكلُّ هـــالكُ[3]

وشـــهـــدتَ صــــعـــقـــتـــنَـــا والإله قـــائلُ
المـــلكُ لي الـــيـــومَ مـــالي مـــشـــاركُ[4]

ثمَّ الأنـــاقـــةُ والمـــهـــيـــمنُ يُـــلـــقِي منْ
آيـــاته ويـــــقـــــولُ أنتَ مـــــبـــــاركُ

لـــشـــهـــدتَ شـــيـــئًـــا لا يـــطـــاقُ شـــهـــودهُ
وســـــمـــــعت مـــــالاَ مـــــنه يـــــدرِكُ دَارِكُ

وعـــلـــمتَ أن الـــقـــومَ مـــاتـــوا حـــقـــيـــقـــةً
فـــلـــذَا أبـــاحَ لـــهـــمْ حِـــمـــاهُ المـــالكُ

****

(١) القصيدة في ص"، ص: ٢٧٠ ، ٢٧١.

(٢) الصب: العاشق الولهان المحروم.

يا عظيماً تجلى

[من مجزوء الرمل]

يـــا عـــظـــيـــمـــاً قـــدْ تجـــلَّى
كلُّ مـــجْـــلـى لـهُ مَـــجـــلَى[1]

أَنـتَ مـــبـــدِي كـلَّ بـــادٍ
أَنْـتَ أَبْـــدَى أنـت أجْـــلَى

كـلُّ مـنْ فـي الـــكـــون أنـــتمْ
أنـت مـــولَـى كـلِّ مـــولَـى

حـــسْـــنُكَ الـــبـــارِي تـــعـــالَى
أَنْ نـــرى عـــنـــده مـــثْلا

كـلُّ حـــسنٍ مـــســتـــعـــارٌ
مـن جـــمـــالٍ قـــد تـــدلَّى

أيُّ حـــســنٍ أيُّ حـــسْـــنٍ
غـــيـــر حـــسن قـــد تـــعـــلَّى

كـــنتُ قـــبل الـــيـــوم صـــبّـــاً
أســـأل المحـــبـــوبَ مـــيْلا[2]

فـــأَزالَ الـــســـتـــرَ عـــنـي
فـــبـــدَا لـيِ الـــفـــصلُ وصلا

زادنـي الـــقـــربُ احـــتـــراقـــاً
فـــأنَـــا بـــالـــوصلِ أصْـــلَى

---

(١) البيت والبيتان بعدهما غير مثبتة في "ص".

(٢) البيت غير موجود في "ص".

(٣) البيت والبيتان بعده غير واردة في "ص".

(٤) كذا في الأصل، وأظن الشطر الأول: «وحسانٍ غانياتٍ» وبذلك يصح المعنى والوزن معاً (م).

عــــجـــــبِي من عـــــشْق نـــــفـــسِي

مـــا أحْـــبَـــبتُ غـــيـــري أَصْلا

لـــــيسَ تـــشــبِـــيـــبِي وغـــزْلِي

وغــــــــــــــــرَامِــي إِلاَّ إِلاَّ[١]

أنـــا سُـــعـــدى أنـــا ســـلْـــمَى

أَنَـــا هـــنـــدٌ أنَـــا لـــيـــلَى

أنَـــــا بـــــدْرٌ أنـــــا شــــمْسٌ

أنَــــا صـــــبحٌ قـــــدْ تجـــــلَّى

أنَــــــا نــــــورٌ أنـــــا نــــارٌ

أنــــا بــــرقٌ ضَـــــاء لــــيلا

أنَــــا كــــأسٌ أنــــا خــــمْــــرٌ

أنَــــا أَســــقَى أنَــــا أَمْــــلَى

كــــتبَ الــــعــــشقُ زبُــــورًا

في فـــؤادي فــــهـــو يُــــتْــــلى[٢]

كـلُّ يـــــــوم كـلُّ حـــــين

كلُّ آن فـــــهْـــــوَ يُــــمــــلَى

مــا نــسـيتُ الــدهــر وقْــتــاً

قَـــدْ تـــقـــضَّى بـــالمـــصَـــلَّى

بــــين أنـس لِـــمَـــهــــاة

وغـــــزالٍ قـــــد تَـــــحــــلَّى[٣]

وحـــــســــــنــــــاتٍ غـــــانـــــيـــــاتٍ
كــــــــحــــــــيـلات ولا كُــــــــحْـلا[٤]

وأُســـــــــودٍ ضـــــــاريـــــــاتٍ
تـــــصـــــرعُ الأبـــــطـــــالَ قـــــتـلا

كـل نُـــــعـــــمـــــاكمْ لـــــذيـــــذٌ
ونـــــعـــــيـمُ الـــــوصـلِ أحـــــلَى

كـل بـــــلـــــوايَ حـــــقـــــيـــــرٌ
حـــــيـثُ كـــــنـــــتـمْ بِيَ أَوْلَى

****

(١) الأبيات في "ص"، ص: ٣٠١ وقد أرجعها «صيام» إلى البحر الطويل، ولست أدري كيف وصل بها إلى هذا التحديد غير الدقيق تماماً.

من أكون؟

[............]

أيَـــــا أنـــــا من أَكـــــونُ إن لـم أكن أَنْتَ
ويـــا أنْتَ من تـــكــونُ إن لم تــكنْ أَنَــا[1]

مـــا بـــالـــكم قـــلـــتمْ إله وأعـــبـــدٌ
فـكـثــرتمُ لــذاكَ طــاشتْ عـقــولُــنَـا

إذَا رُفــعت من بــيــنــنَــا الــعـــين والألفُ
فـقــدْ رُفعَ الســتــرُ المـفــرقُ بــيــنــنَـا

وذلـك حـــــينَ لا أنـــــا لكَ عــــابــــدٌ
ولا أنتَ مــعـــبــودٌ فــزالَ حــجــابــنَــا

****

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٣١٩ - ٣٢٠ سعاد وعلوا عروستان من عرائس الشعر العربي بعامة والصوفي منه بخاصة، وهما من رموز العفة والنقاء.

يقــولـــون

[من الطويل]

يــقــولــونَ لا تــنــظــرْ ســعــادَ ولا عــلــوا
وعــدٍّ من الآثــارِ واقــصــدْ لمن تــهــوَى[1]
فـــإنك مـــكـــلـــومُ الـــفـــؤاد مـــتـــيَّمٌ
أَخـــو جُـــنـــةٍ بل مـــنـــهَـــا داؤُك ذَا أَدْوى
وقــدْ مــلــكَ الــلــيل الــبــهــيم تحــرُّقــاً
كـــأنكَ مـــلـــســـوعٌ وحـــالُك ذي أسْـــوَا
فــقــلــتُ أراني مــا أرَى غــيــرَ من سَــبَــا
فـؤادي ومنْ قـد ضـاعفَ الـضـرَّ والـبـلْـوَى
نــظــرتُ إلــيـهِ والمــلــيــحــةُ تحْــســبَنْ
نــظــرتُ إلــيــهــا لاَ ومــبــسَــمه الأضْــوَا
ولـــكنْ جـــمـــال من أحبُّ تَـــبـــدَّى لِي
فــهَــا أنــا ذا أبْــدِي إلــيه بهِ الــشَّــكْــوَى
يــكــلِّــمــنِي بــالــرمْــزِ من خــلْفِ ســاتــرٍ
ومــا كلُّ مــا أمــلتْ عــيــونُ الــظِّــبَــا يُــرْوَى
فلا مـــتـــكـــلـــمٌ ســـواه مـــخـــاطبٌ
ولا سَــامِع إلاهُ لـــلـــســـرِّ والـــنَّــجْــوَى
أخـــاطـــبـــنِي إيَّـــايَ فـــيهِ تحـــقـــقـــاً
فـــأسْـــمـــعـــنِي إيَّـــايَ فيَّ ولا غَـــرْوَا
فــيــا ويحَ مــا أعــلَّل الــنــفْسَ في الــهَــوَى

(١) تنحا: كان ينبغي أن تكون مجزومة، والرهو: الهدوء والسكون.

ب - قصيدتا المذكرات

وصف رحلته إلى بو(*)

[من الوافر]

إذا مَــا ســـلْتَ عنْ خــيـــر وخُـــبْـــرِي
فـــإني لـــنــعـــمـــةِ الإلهِ شـــاكـــرْ[1]
وقـــدْ وافـــيتُ عـــزًّا في فـــرنْـــسَـــا
ولـــيـــنًـــا في الأصـــاغـــرِ والأكـــابِـــرْ
وعـــطْـــفًـــا وانـــحـــنـــاءً وارتحـــامـــاً
يـــقـــوِّي مـــا رجـــوْنَـــا من الأكـــاسِـــرْ
فـــتـــرتَـــجِي لـــذَاكَ ســـراحَ ســـتْـــرٍ
إلى بـــطـــحـــاءَ مـــنْـــسَـــكُـــهَـــا المـــشـــاعِـــرْ
وتُـــكْـــمِل كَـــلْـــمـــةُ الجـــمـــهـــور عـــنَّـــا
قـــصـــدنـــاهمْ بـــأبـــحـــرٍ زواخِـــرْ
بـــشـــهـــرِ مـــحـــرَّمٍ جـــئـــنـــا وفـــودًا
لـــبـــابُـــورٍ يـــجـــرُّ المـــاءَ مـــاخِـــرْ
مـــكـــثْـــنـــا أشـــهـــرًا خـــمْـــسًـــا بِـــبَـــرٍّ
يـــنـــيلُ الـــضـــيفَ جـــوداً بـــالأزاهِـــرْ
ومنْ أَطْـــلُـــونَ ســـرْنـــا في قـــبـــابٍ
ثـــمـــانٍ مـــثل أبـــعـــاد الجـــواهِـــرْ[2]
إلى فـــلَـــكٍ عـــلـــى مـــاءٍ ونـــارٍ
وجـــمعُ الـــضـــدِّ يـــبـــهتُ الـــنـــواظـــرْ

(*) القصيدة مضطربة الوزن فبدت الزحافات فيها كثيرة، وتجاوز المباح عروضياً أيضاً وقد عدها مصدرو المذكرات على أنها قيلت عن مدينة طولون، ومضمونها كما تجلى غير ذلك.

(١) لعل النص «إذا ما سلت عن خَبري وخُبْري»؛ وقول الشاعر «سلت» أي : سألت (م).

(٢) طلون: مدينة فرنسية.

سـريـنَـا لـيـلـةً والـيـومَ كلاً
لِـسِـيتَ ومـا بـهـا سـوءٌ لمـاكِـرْ[1]
فـسـنـهـا مَنْ وسَى وَمَنْ تـأسَّى
وقـاءً لـلـمـخـاطبِ والـمـخَـابِـرْ[2]
ومـنـهَـا ركـبْـنـا واديـاً زلالاً
وفي أسـطـولهِ عـجبُ الـشـواطِـرْ[3]
كـأنَّ الـشـمسَ حـلَّتْ بـرْجَ حـمْلٍ
ومـطـلعُ بُـرجـهـا بـين الـقـنَـاطِـرْ
وفـاقَ بـهـاؤُهـا بـنـسجٍ وصُـنْعٍ
مـدارجَ هـيـكلٍ تُـسْـلِي الخـوَاطـرْ[4]
ومن بـعـدِ الـزوال لـهَـا ارتحـالٌ
لـقـصـطلَ نـوضـرِي والـعـذبُ حَـادرْ[5]
فـأرسَـيـنـاهُ في نَـزْلٍ رفـيعٍ
وقـدْ حـمـدنـا نـزولَ المـصـادرْ
لهُ تَـلْـوٌ تـبـاع لـلـمـزَايَـا
سـجـايَـا أهـلِـهـا زينُ الـنـوادِرْ
وبـعـدَ المـعْشِ وارتـيـاح بـسْطٍ
ركـبْـنَـا في الـقـبـابِ لـهـا دوائِـرْ
مـجـاوزين قـصْـر آشٍ وطـاربْ
فـأحْـدق أهـلِـهـا في زيٍّ نـاظِـرْ[6]

(١) لسيت: مدينة (Sète) تقع غرب مرسيليا، توقف فيها الأمير، وهو متوجه من طولون إلى بو.

(٢) يريد حذاقة قائد الباخرة، ومهارته في اختيار الطريق.

(٣) ربما «قد ركبنا» لاستقامة الوزن.

(٤) لعل «نسجا وصنعا» حتى يستقيم الوزن.

(٥) قصطل: مدينة (Castelsarasiv) تقع على ضفة القنال المحاذى لنهر القرون بفرنسا. البيت مضطرب عروضياً.

(٦) آش (Auch) مدينة على نهر الجير تقع جنوب غرب باريس، وتبعد عنها بحوالي (٦٨٠) كلم. والبيت مكسور عروضياً، (Tarbees) أيضاً مدينة تقع في الاتجاه نفسه من باريس، وتبعد عنها بـ (٧٧١) كلم.

مـــحـــبـــة بـــأضـــواءٍ تـــدانَـــوْا
بـشـعْلِ الـنـار مـنـتـظـرٌ ونـاظِـرْ
وكــلُّــهمُ عــلـى الإشـفـاقِ لــبُّـوا
وأعــلـنَ بـالـتـوددِ لا مـكـابـرْ[1]
حـطـطْـنـا الـرَّحْلَ في وادٍ عـظـيمٍ
بـحـافـتَـيْه رِيـاضٌ زواهـرْ
بـقـصـرٍ مُـشْـرف الـنـزهَـاتِ يـصـبُـو
إلى مـصْـبـاهُ "بُـو" لـلـبـوءِ ظَـافِـرْ[2]
ولاحَ لـنـا بـه كـتـابُ سـهْلٍ
من الجـمـهـورِ مـتَّـضَح الـبـشـائِـرْ
ويـرمُـزُ بـالـصـراحـةِ لاقـتـرابٍ
من الـتـسـريـح والإلـه قـادِرْ
فـكمْ أَبـدتْ لـنـا من حـسْنِ جـودٍ
مـديـنـةُ "بُـو" ونـعـمَ مَـا تـظـاهِـرْ

****

(١) لعله أراد بـ «لبو» نهو بو (Pau)

(٢) أراد نزوله بمدينة بو (Pau) التي تبعد بـ (٧١٥) كلم عن باريس، وتقع جنوب غربها، وفيها اعتقل الأمير عبدالقادر بعد تولون.

في مدينة طولون

[من البسيط]

أطلــونُ أغْـمَـرتـنـا بــالـبـسط والـنـعمِ
أنـلْـتِـنـا كـرمـاً بــالـفـضلِ مـنـفـعمِ[1]
أطلــون طَـلَّتْ رفـيـعـاً شـدَّت في غـرفٍ
تـعـلُـو عـلى غـرف بـالمـوجِ مـلـتـطمِ[2]
أطلــونُ قــد عَــلَت الجِـبـالَ مَـنـزلـةً
يَـا حـبـذا الـرَّفعُ مـثَـوى كل مـنـتـعمِ
سـهـلتِ سـهلاً فـجـرتِ أهلاً في سـمـةٍ
بـأوجهٍ لحـسـانِ الـوجه في شـيمِ[3]
لـهـا الـسـمـاحـةُ إذْ قـد زانـهـا حـوَرٌ
ممـشَى جـداءٍ بـحـضـر صـفـرة الـنِّـعمِ
تُـلـهِي بـأنـعـامـهـا تـسْبِي بـأجـراسـهـا
تُـبـدي مـصـانـعـهـا بـرونقِ الـهـمَمِ
خـزانـة المـلْكِ جـدًا في بـنَـادقـهـا
وفي فـنـادِقـهـا مـا شـئتَ منْ زِيمِ[4]
مـدافعُ كـورهـا تـسـطُـو بمـجـتـرئٍ
مـكـاحلٌ زنْـدُهـا بـالـنـار مـتَّـسمِ[5]

---

(١) أطلون هكذا وردت في النص، والصحيح «طلون» ، وهو ما يستقيم معها الوزن أيضا، وهي تقع جنوب شرق باريس وتبعد عنها بـ ٨٤٠ كلم ، وجه إليها الأمير عندما ود الانتقال من وهران إلى المشرق.

(٢) لعل شد في غرف لاستقامة الوزن.

(٣) الشطر الأول غير مستقيم الوزن.

(٤) الزيم: القطع، والتفرق، أو المكتنز، وربما أراد ما ترغب فيه، وتريده، وتشتهيه.

(٥) مكاحل جمع مكحلة: البندقية (شائعة في الجزائر ومناطق أخرى في المغرب العربي) (م).

كــوابسٌ ونـــبـــالٌ والـــســـيـــوفُ لـــهَـــا
حـــدُّ الـــســـنـــانِ تـــرى كـــالأنْـــجم الـــرُّسمِ[1]

تـــمـــاثلُ الإنس كـــالحـــرَّاسِ قـــائـــمـــةً
من ســابغِ الــذيل أو في الحــرْبِ مــلــتــثمِ[2]

وآلـــةُ الـــصـــنـــع كـــالـــدولابِ تُـــحْـــركُهُ
من صـــاعـــدٍ هـــابطٍ للاضـــطـــراب نَمِ[3]

كلُّ الأفـــانـــينِ مـــا الأشـــجـــارُ صُـــورتُـــهـــا
من الـــسلاح لـــذكْـــرِ الـــنـــخلِ والـــكـــرَمِ

والـــرمـــزُ مـــنـــهـــا يـــقـــولُ هي مـــنـــتـــجـــةٌ
لـــنـــيلِ جـــمع ثـــمـــار الـــهـــضْبِ والأَكَمِ[4]

فـــهْي الـــوســـيـــلـــةُ لـــلـــمـــقـــصـــود من مَـــلِكٍ
قـــد عـــشقَ الـــلـــهـــوَ بـــبـــاريـــزَ من خـــدَمِ[5]

تـــفـــاخـــرٌ لـــعبُ الـــدنـــيـــا بـــزيـــنـــتِـــهـــا
تـــكـــاثـــرُ المـــال والأولادُ فـــاكـــتَـــتِمِ[6]

أبـــوابُ ســـلـــطـــنـــةِ الـــقـــديمِ نـــامـــيـــةٌ
لـــدى الجـــديـــد بمـــا يـــريـــد من عـــممِ

تـــرنَّـــقتْ بـــفـــؤاد الـــنـــائِي ممـــلـــكـــةٌ
حـــوت فـــرنْـــسَـــا بـــهـــا مـــدائنَ الـــنـــعَمِ[7]

---

(١) كوابس: مسدسات (عامية).

(٢) في الأصل: تماثيل، وهو ما لا يستقيم عروضيا.

(٣) للاضطراب نم: صافي.

(٤) الأكم: التلال.

(٥) البيت عدل بحسب ما ذكر مثبتو النص، ولم يوردوا البيت الأصلي في المتن، أو الهامش.

(٦) في الأصل: ولا أولاد، وهو مالا يستقيم معه الوزن.

(٧) النائي: كذا في الأصل، وهو ما يجعل الوزن مضطربا، ويصير سليما بالناء دون الياء.

مــراكبُ الــفــلْكِ في الــبــحــار مــاخــرةٌ

مـــــا بـــــينَ رائحَ أو غـــــادٍ معَ الأضَمِ[1]

لاحتْ قلائـــعُـــهـــا نـــارتْ علائـــقُـــهـــا

ضـــاءت مــشَـــارقُـــهـــا بـــالجـــوِّ والـــعـــلَمِ

فـالجـسمُ مَـا الـسَّاجِ والأرواح مـوقـدهَـا

دخـــانُـــهـــا الـــسـرجُ والمـــهـــمـــازُ في كـــتمٍ[2]

نـــعمْ ومـــرْكـــوبُـــهـــا يمٌّ مـــيـــادنهُ

لـــلـــسـبقِ لاَ مِـــثْـــلـــهَـا في طـــيـــر أو دُهُـمِ[3]

تَـمَّتْ مـحـاسـنُـهـا نَـمَّتْ أحـاسِـنُـهـا

لـــوْ أنَّـــهـــا أحــســنتْ إلى الـــسُّـــر احــرُمِ؟

فـتـكْـمِلِ الـكَـرَمَ المـسـدولَ مـنـهـا عـلـى

ضــيفٍ أتى عـانـيًـا يـبـغِي الجـواءَ سـمِي

****

(١) عد محققو النص الشطر الثاني مختل الوزن، وهو كذلك لكن بمنع رائح من الصرف كما أثبتنا يصير الوزن مستقيماً، والأضم: المجتمع.

(٢) ما الساج: أراد من الساج أي أن هيكل السفينة مصنوع من الساج، والمهماز: ما يهمز به، حديدة في مؤخر خف الرائض، وفيكتم، كذا في الأصل، والأصح: في كتم ليستقيم الوزن.

(٣) الدهم جمع الأدهم، وهو من الخيل والإبل الشديد السُّمْرة، ومعاني الدهمة في اللغة أكثر ما تدور على السَّواد وما يقاربه (م).

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ عبد القادر (الأمير) الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، منقحة ، دمشق، سورية ١٩٦٧ .

٢ ـ مذكرات، تحقيق: د/محمد الصغير بناني، د/محفوظ سماتي، د/محمد الصالح ألجون، دار الأمة، ط٢، الجزائر ١٩٩٨ .

٣ ـ د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق وشرح وتعليق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨ .

٤ ـ محمد (باشا) ابن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مطبعة المعارف، مصر، بلا تاريخ.

٥ ـ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، الطبعة الثانية منقحة ومزيدة، بيروت، لبنان، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٦ ـ د. ممدوح، حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، مزيدة ومنقحة، بيروت، ١٩٦٤م.

٧ ـ د. محمد ناصر، منتخبات من شعر الأمير عبد القادر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ .

****

فهرس الأعلام

****

فهرس الأماكن

****

فهرس مطالع القصائد وقوافيها وبحورها

✱✱✱✱

الفهرس

****